تنزلات القرآن الكريم: دراسة تحليلية

حصة أحمد الغزال

المقدمة:

الحمد لله الذي بقدرته وإرادته تتوجه النيات وتظهر الأسباب وتتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي المبعوث لهداية الخلق وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بما آتاه عز وجل من وحي حكيم وقرآن مبين فيه شفاء ودواء لكل أمراض البشرية وعللها في كل زمان ومكان، أما بعد:

فإن أهم ما تبذل فيه المهج الغوالي وتصرف في طلبه الأيام والليالي هو كتاب الله وتدبر معانيه ومعرفة أسرار مبانيه وأحكام تنزيله وحكم تأويله، إذ هو الروح الذي تعيش به أمتنا والدرع الواقي الذي تقوى به شوكتها تمسكوا به نجماً ومرسلاً على منهجه جمع ومن حكم به عدل وكيف لا وهو الحبل المتين والقول الفصل وكلمة الله الأخيرة للعالمين.

ولقد تعددت قضايا القرآن وتكاثرت جوانبه المضيئة وأبعاده الهادية الراشدة المقررة لصدقه وتوثيق نصه وتأكيد حفظه وصيانته من بيان زمان نزوله وكتابته وكيفية نزوله، وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وأسباب نزول آياته وغير ذلك من أنواع علوم القرآن، التي تناولها العلماء ودرسوها دراسة واسعة مستفيضة وأكثروا من فروعها ومسائلها حتى بلغوا بها إلى ثمانين نوعًا كما هو حاصل في كتاب **الإتقان في علوم القرآن** للإمام السيوطي رحمه الله، و**البرهان في علوم القرآن** للإمام الزركشي رحمه الله مع ما يتضمنه كل نوع من مسائل وقضايا لا تحصى ولا تعد. يقول السيوطي بعد سرده لمباحث كتابه **الإتقان**: "فهذه ثمانون نوعًا على سبيل الإدماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة"[1].

1- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تقديم وتعليق: محمد شريف شكر، طبعة مكتبة

وقد حقق العلماء والباحثون ودققوا دراسة هذه الأبحاث وتوضيحها حتى تكاثرت التآليف في كل نوع منها، ومع ذلك فقد بقي كثير من هذه الأنواع مختصرًا متفرقًا لم يجمع شتاته ولم تتضام أجزاؤه ولم تنظم جوانبه ولم ترتب أطرافه وشوارده.

ولفت نظري موضوع "تنزلات القرآن الكريم" فلم يقنع عقلي ولم يشبع نهمي ما قرأته من حكم وأسرار نزوله وتنزلاته، وهذا ما استحثني إلى بحثه ودراسته دراسة متأنية تلم أطرافه وتجمع متفرق معارفه ومعالمه آملة في توفيق الله عز وجل، وراجية منه سبحانه أن يكون هذا البحث نبراسًا وبرهانًا ساطعًا وحجة واضحة تجذب القلوب إلى محبة القرآن العظيم وتستحثها إلى مداومة تلاوته ودراسته. ومؤكدة الثقة بالوحي الحكيم المنزل على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وتكون سبيلًا إلى تثبيت السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين المخلصين فيزدادوا إيمانًا على إيمانهم وتصديقًا على صدقهم فيقوى تمسكهم بهدي كتاب الله عز وجل ويشتد اعتصامهم به والتزامهم بأحكامه وحكمه وآدابه وأخلاقه.

وقد وفقني الله عز وجل الموفق لكل خير وصلاح، وأتم عليّ النعمة فهو الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات إلى كتابة هذا البحث الذي سميته: "تنزلات القرآن الكريم: دراسة تحليلية".

وقد نظمته في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدمة تضمنت أهمية الموضوع وخطته، ومنهج بحثي، وخاتمة.

المبحث الأول: نزول القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تنزلات القرآن الكريم.

المبحث الثالث: كيفية نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: الهدف الأسمى والغاية العظمى من إنزال الله تعالى القرآن الكريم للبشر عامة، وللمسلمين بصفة خاصة وذلك في ضوء الآيات القرآنية.

الخاتمة: وقد تضمنت خلاصة ما انتهت إليه هذه الدراسة.

وقد استقيت معارف هذا البحث وفق المنهج التحليلي مما ذكره العلماء في مؤلفاتهم، ومن وحي النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المتضمنة لأفكاره، مع ما وفقني الله تعالى من التنظيم والتنسيق وتجلية الأسرار والحكم والفوائد.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لنيل الثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، وأن يستر

المعارف، الرياض، ج 1، ص 21.

ما قد شابه من نقص أو لحقه من قصور، فإن كل يقيني بأن كل ما فيه من صواب فهو من توفيق الله تعالى وتسديده لي وما لحقه من خلل فمني ومن الشيطان. والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وتستر المعايب والمنكرات. وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد رسول الله الأمين إلى الخلق أجمعين.

المبحث الأول: نزول القرآن الكريم:

إن "النزول والتنزيل" من أكثر الألفاظ القرآنية الدالة على تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم من الله عز وجل، واختيار مادة "النزول" وما تصرف منه لبيان مصدر القرآن الكريم وأصل منبعه فيه تشريف وتفخيم وتكريم وتعظيم لهذا الكتاب وسمو منزلته وعلو مرتبته كما يفصح عن ذلك قوله تعالى: ﮋﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮊ[2]. فقوله تعالى: ﮋﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮊ زيادة في الثناء وتعظيم لشأن القرآن وشهادة بعلو منزلته وسمو معارفه وحكمته.

ومن ثَمَّ جاءت مادة "نزل" وما تصرف منه مما يدور حول النزول والتنزيل في القرآن الكريم ما يزيد على أربع وأربعين مرة مبثوثة في مائتين وخمس وتسعين آية[3]. وأسند الإنزال أو التنزيل فيها إلى القرآن الكريم فيما يزيد عن مائة آية.

النزول في اللغة:

هو انحطاط من علو إلى سفل يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا أي حط رحله فيه. والمُنْزَل ـ بضم الميم وفتح الزاي ـ: الإنزال. والمَنزَل ـ بفتح الميم والزاي ـ من النزول وهو الحلول. والتَّنَزُّل: النزول في مهلة[4]. "وَتَنَزَّلَه وأَنْزَلَه ونزله بمعنى قال سيبويه: وكان أبوعمر يفرق بين نزَّلت وأنزلت ولم يذكر وجه الفرق. قال أبوالحسن: لا فرق عندي بين نزلت وأنزلت إلا صيغة التكثير في نَزَّلت في قراءة ابن مسعود: ﮋﮃ ﮄ ﮊ[5] أنزل كنزَّل"[6].

وفي كلام جامع لما تناثر وتكاثر في كتب المعاجم يقول الراغب الأصفهاني في كتابه **مفردات**

2- سورة الزخرف، الآية: 1-4.

3- انظر: **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مجمع اللغة العربية، ج 2، ص 509، مادة "نزل" ومحمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، طبعة دار الشعب، ص 694- 698 ومحمد إسماعيل إبراهيم، **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**، طبعة دار الفكر العربي، ص 523، 524.

4- انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ط 2، ج 5، ص 1829.

5- سورة الفرقان، الآية: 25.

6- محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ج 6، ص 4399.

ألفاظ القرآن ما ملخصه: "النزول في الأصل هو: انحطاط من علو. يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه ونزل بكذا وأنزله بمعنى. وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق إعطاؤهم إياها. وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك. والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقًا ومرة بعد أخرى والإنزال عام"(7). "والفاعل: مُنْزِل والمفعول: مُنْزَل. والنَّزْل ما تهيأ للنزيل والنزيل الضيف"(8).

وأما مرادات ووجوه مادة "نزل" ومشتقاته في القرآن الكريم فقد أفصحت عنها كتب الوجوه والنظائر.

وجوه النزول في القرآن الكريم:

لقد قال الإمام ابن الجوزي: "أن بعض المفسرين ذكر أن الإنزال في القرآن على أربعة أوجه"(9). ولكن الحسن بن محمد الدَّامغاني ذكر له تسعة أوجه، فقال: "ن ز ل على تسعة أوجه:

الأول: فوجه منها: الإنزال يعني: القول، قوله تعالى في سورة الأنعام: ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮊ(10) يعني: سأقول مثل ما قال الله تعالى.

الثاني: أنزلنا بمعنى خلقنا، قوله تعالى في سورة الحديد: ﮋﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﮊ(11) يعني خلقنا.

الثالث: الإنزال: إنزال المطر من السماء، قوله تعالى في سورة الفرقان: ﮋﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮊ(12).

الرابع: التنزيل بمعنى البيان، قوله تعالى في سورة الإسراء: ﮋﭡ ﭢﮊ(13) أي: وبيّناه بيانًا.

الخامس: الإنزال بمعنى الإهباط، قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﮋﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﮊ(14) أي أهبطني

7- انظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ص 799.

8- أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ/ 1984م، ص 127.

9- المرجع السابق، ص 128.

10- سورة الأنعام، الآية: 93.

11- سورة الحديد، الآية: 25.

12- سورة الفرقان، الآية: 48.

13- سورة الإسراء، الآية: 106.

14- سورة المؤمنون، الآية: 29.

مهبطًا مباركًا أي من السفينة إلى الأرض.

السادس: النزول: الثواب، قوله تعالى في سورة الصافات: ژڑ ڑ ک ژ(15) يعني: ثوابًا. كقوله في سورة فصلت: ژچ ڇ ڇ ڇ ژ(16) يعني: ثوابًا.

السابع: الإنزال بمعنى الإرسال، قوله تعالى في سورة فصلت: ژڇ ڇ ڇ ڍ ڍژ(17) أي: لأرسل رسلًا من الملائكة. كقوله تعالى في سورة المؤمنون: ژے ۓ ۓ ﯓ ﯔژ(18).

الثامن: التنزيل: البسط، قوله تعالى في سورة الشورى: ژہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯔژ(19).

التاسع: النزول بمعنى التعليم، قوله تعالى في سورة الشعراء: ژگ گ گ گ گ گ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻژ(20) أي علّم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم. كقوله تعالى في سورة الأنعام: ژڌ ڎ ڎژ(21) أي علمناه"(22).

والمطالع للآيات الكريمة التي ذكرت فيها مادة "ن ز ل" يرى أن لفظ النزول وما تصرف منه يأتي في القرآن على ثلاثة أنواع من حيث ما وقع عليه الإنزال أي: المُنَزَّل.

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله عز وجل، وهذا مختص بالقرآن الكريم فلم يذكر إلا معه في آيات كثيرة كما في قوله تعالى: ژ□ □ □ □ □ □ □ژ(23). وقوله تعالى: ژڃ ڃ ڃ ڃ

15- سورة الصافات، الآية: 62.

16- سورة فصلت، الآية: 32.

17- سورة فصلت، الآية: 14.

18- سورة المؤمنون، الآية: 24.

19- سورة الشورى، الآية: 27.

20- سورة الشعراء، الآيتان: 193، 194.

21- سورة الأنعام، الآية: 92.

22- الحسين بن محمد الدامغاني، **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1985م، ص 453، 454.

23- سورة النحل ، الآية: 102.

ﭼﮊ[24]. وقوله تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﮊ[25]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة المبثوثة في القرآن الكريم.

النوع الثاني: غير مقيد بأنه من الله لكن من السماء، وهذا النوع يشمل نزول الملائكة من عند الله ونزول المطر من السحاب ونزول العذاب. فقال تعالى في إنزال الملائكة من السماء: ﮋ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯢ ﯣﮊ[26]. وقال تعالى في نزول المطر: ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ □ □ﮊ[27]. وقوله تعالى: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮊ[28].

والمراد بالسماء في هاتين الآيتين السابقتين: السحاب، وهذا ما يوضحه ويفسره قوله تعالى: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﮊ[29] فالسماء اسم جنس لكل ما علا وارتفع، وسمي المطر سماء لخروجه منها[30]. والمزن السحاب المضيء والقطعة منه مُزْنة[31]. وقال تعالى في نزول العذاب من السماء: ﮋﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﮊ[32]. وقوله تعالى: ﮋﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮊ[33]. والرجز هو العذاب يوضحه قوله تعالى: ﮋﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﮊ[34].

النوع الثالث: نزول مطلق عام لا يختص بنوع منه، أي: ليس بمقيد أنه من الله عز وجل أو من السماء كإنزال الحديد والأنعام. ومثاله قوله تعالى: ﮋﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﮊ[35]، فقد فسر أنزلنا بجعلنا وأظهرنا وخلقنا.

يقول الماوردي: "ﮋﭪ ﭰﮊ فيه قولان:

أحدهما: أن الله أنزله مع آدم. روى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: الحجر الأسود

24- سورة الزمر، الآية: 1 وسورة الجاثية، الآية: 2 وسورة الأحقاف، الآية: 2.

25- سورة فصلت، الآيتان: 1، 2.

26- سورة الإسراء، الآية: 95.

27- سورة البقرة، الآية: 22.

28- سورة الأنعام، الآية: 99.

29- سورة الواقعة، الآية: 69.

30- انظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 427.

31- المرجع السابق، ص 766.

32- سورة البقرة، الآية: 59.

33- سورة العنكبوت، الآية: 34.

34- سورة سبأ، الآية: 5.

35- سورة الحديد، الآية: 25.

كان أشد بياضًا من الثلج. وعصا موسى وكانت من أسى[36] الجنة. فطولها عشرة أذرع مثل طول موسى. والحديد أنزل معه ثلاثة أشياء: السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة[37].

الثاني: أنه من الأرض غير منزل من السماء فيكون معنى قوله: "ﮋﭫﮊ محمولًا على أحد وجهين: أحدهما: أي أظهرناه. الثاني: لأن أصله من الماء المنزل من السماء فينعقد في الأرض جوهره حتى يصير بالسبك حديداً"[38].

وقوله تعالى: ﮋﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ[39]. يقول الماوردي أيضًا في معنى الإنزال في هذه الآية: "وفي قوله: أنزل وجهان: أحدهما: يعني: جعل قاله الحسن. الثاني: أنزلها بعد أن خلقها في الجنة حكاه ابن عيسى"[40].

ويحقق الآلوسي المراد بالإنزال في هذه الآية فيقول: "والإنزال مجاز عن القضاء والقسمة فإنه تعالى إذا قضى وقسم أثبت ذلك في اللوح المحفوظ ونزلت به الملائكة الموكلة بإظهاره ووصفه بالنزول مع أنه معنى شائع متعارف كالحقيقة، والعلاقة بين الإنزال والقضاء الظهور بعد الخفاء ففي الكلام استعارة تبعية[41]. وجوز أن يكون فيه مجاز مرسل. ويجوز أن يكون التجوز في نسبة الإنزال إلى الأنعام والمنزل حقيقة أسباب حياتها كالأمطار ووجه ذلك الملابسة بينهما. أو يجعل الإنزال مجازاً عن إحداث ذلك بأسباب سماوية وهو كما ترى. وقيل الكلام على ظاهره والله تعالى خلق الأنعام في الجنة ثم أنزلها منها ولا أرى لهذا الخبر صحة"[42].

36- الأسى: شجر ورقة العِطر.

37- انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، **تفسير القرطبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جزء 17، ص 222.

38- انظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، **النكت والعيون، (تفسير الماوردي)**، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4، ص 194.

39- سورة الزمر، الآية: 6.

40- **النكت والعيون، (تفسير الماوردي)**، ج 3، ص 461.

41- الاستعارة التبعية: أن يستعمل مصدر الفعل في معنى غير ذلك المصدر على سبيل التشبيه ثم يتبع فعله له في النسبة إلى غيره نحو كشف فإن مصدره هو الكشف فاستعير للإزالة ثم استعار كشف لأزال تبعًا لمصدره يعني أن كشف مشتق من الكشف وأزال مشتق من الإزالة أصلية فأراد لفظ الفعل منها، وسميت استعارة تبعية لأنه تابع لأصله. علي بن محمد الشريف الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413هـ/ 1992م، ص 15.

42- الآلوسي، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 2، ص 240.

وعند تفسير آية سورة الحديد يقول الآلوسي: "ژ ﭟ ﭠ ژ قال الحسن: أي: خلقناه كقوله تعالى: ژ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ژ وهو تفسير يلازم الشيء فإن كل مخلوق منزل باعتبار ثبوته في اللوح وتقديره موجودًا حيث ما ثبت فيه"[43].

وبهذا يترجح أن المراد بالإنزال في آية سورة الزمر وآية سورة الحديد الخلق والإظهار. وأن النازل على كل وجه من الوجوه هابط من علو إلى سفل. وهذا ما يدعونا إلى بيان:

المراد بنزول القرآن الكريم:

ومعنى النزول في اللغة لا يتوافق ولا يليق بنزول القرآن الكريم من حيث إن المعنى لا ينطبق إلا على الأشياء المادية.

ومن ثم حمَل العلماء نزول القرآن على المعنى المجازي وهو: الإعلام بواسطة ما يدل عليه من النقوش بالنسبة لإنزاله في اللوح المحفوظ وفي بيت العزة من السماء الدنيا. وبواسطة ما يدل عليه من الألفاظ الحقيقية بالنسبة لإنزاله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ظاهرة. حيث إن إنزال شيء إلى شيء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به إن كان عاقلًا. ويستلزم إعلام من يطلع عليه من الخلق به مطلقًا[44].

يقول الزركشي: "واعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الإنزال فقيل معناه: إظهار القرآن. وقيل: إن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته. ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان"[45].

حكمة التعبير بالإنزال عن الإعلام:

مما تقدم يتضح لنا أن الله عز وجل قد اختار لفظ النزول وما تصرف منه دون التعبير بالإعلام به للتنصيص على مصدر القرآن الكريم وأنه من الله العلي الحكيم، وفيه تشريف وتفخيم وتعظيم لهذا الكتاب المبين المعجز وبيان علو منزلته وسمو رتبته. وهذا ما يفصح عنه قوله تعالى في فاتحة سورة الزخرف ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ژ[46]. فقوله تعالى: ژ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ژ جملة مستأنفة مقررة لعلو شأن القرآن لأن ژ ﮋ ژ أي: عندنا ژ ﮌ ژ رفيع الشأن بين الكتب لإعجازه

43- المرجع السابق، ج 27، ص 188.

44- انظر: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 43.

45- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، طبعة دار المعرفة، بيروت، ج 1، ص 229.

46- سورة الزخرف، الآيات: 1-4.

واشتماله على عظيم الأسرار ژگـژ ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره أو حاكم على غيره من الكتب(47).

وقيل: كونه "عليًا" أي: عن وجوه الفساد والبطلان، وقيل: المراد كونه عاليًا على جميع الكتب لسبب كونه معجزًا باقيًا على وجه الدهر(48)، وكلا المعنيين مراد والمعنى الثاني من مقتضيات المعنى الأول ويرشح ذلك مجيء الظرف "لدينا".

الفرق بين الإنزال والتنزيل:

فإنزال القرآن الكريم ذكر مرة بالفعل اللازم "نزل" كما في قوله تعالى: ژگ ڳ گ ڳـژ(49) ومرة بالفعل "أنزل" المتعدي بالألف كما في قوله تعالى: ژٹ ٹ ٹژ(50) وقوله تعالى: ژ ڳ ڳ گ گ گ ڳژ(51) ومرة بالفعل المتعدي بالتضعيف كما في قوله تعالى: ژٺ ٺ ٺ ٺژ(52).

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم كثيرًا ما يذكر نزوله بالفعل "أنزل" وبالفعل "نَزَّل". أما غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل لا يذكر إنزالهما في القرآن إلا بالفعل "أنزل".

ويظهر ذلك واضحًا من قوله تعالى في سورة آل عمران حيث يقول تعالى: ژٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹژ(53).

وأمام هذه الظاهرة القرآنية افترق العلماء والمفسرون إلى فريقين:

- ذهب فريق إلى القول بالفرق بين اللفظين ومن هؤلاء الواحدي والزمخشري والراغب الأصفهاني والسمين الحلبي وابن الزبير الغرناطي والقرطبي وابن الجوزي وأبو السعود وغيرهم. واستدلوا بآية آل عمران المتقدمة. ويقول تعالى في سورة النساء: ژڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ژژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳژ(54).

47- الآلوسي، **تفسير روح المعاني**، ج 25، ص 64.

48- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، دار الفكر، بيروت، ج 27، ص 195.

49- سورة الشعراء، الآية: 193.

50- سورة النحل، الآية: 44.

51- سورة البقرة، الآية: 185.

52- سورة آل عمران، الآية: 3.

53- سورة آل عمران، الآيات: 1-4.

54- سورة النساء، الآية: 136.

وقد ذكروا أن الفرق بين اللفظين المتعدي بالألف والمتعدي بالتضعيف هو أن المتعدي بالألف يفيد الإنزال جملة واحدة والمتعدي بالتضعيف يفيد التكثير في الإنزال وأن القرآن نزل منجمًا شيئًا بعد شيء وقسطًا بعد قسط.

يقول الجرجاني في كتابه **التعريفات**: "والفرق بين الإنزال والتنزيل: أن الإنزال يُستعمل في الدَّفعة، والتنزيل يستعمل في التدريج"[55].

وقد ذهب الزمخشري إلى ذلك حيث يقول في خطبة كتابه **الكشاف**: "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلامًا مؤلفًا منظمًا ونزله بحسب المصالح منجمًا"[56]، وقد نص على ذلك عند تفسيره لآيات سورة آل عمران المتقدم ذكرها، فقال: "فإن قلت: لم قيل: نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل، قلت: لأن القرآن نزل منجمًا ونزل الكتابان جملة"[57].

وقد ذهب السمين الحلبي مذهب الزمخشري في هذا فبعد أن ذكر كلام الزمخشري وما اعترض عليه به أبوحيان. قال السمين: "قلت: وقد سبق الزمخشري إلى هذا الفرق بعينه الواحدي"[58].

وقد ذهب إلى ذلك أيضًا الفخر الرازي فإبان تفسيره لقوله تعالى: ژﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠژ[59]. قال: "فاعلم أن الكتاب ههنا هو القرآن وقد ذكرنا في أول سورة البقرة اشتقاقه. وإنما خص القرآن بالتنزيل والتوراة والإنجيل بالإنزال لأن التنزيل التكثير والله تعالى نزل القرآن نجمًا نجمًا فكان معنى التكثير حاصلًا فيه. وأما التوراة والإنجيل فإنه تعالى أنزلهما دفعة واحدة فلهذا خصهما بالإنزال"[60].

والراغب الأصفهاني في **مفرداته** يقول: "والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقًا ومرة بعد أخرى والإنزال عام"[61].

55- الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص 93.

56- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ج 1، ص 3.

57- المصدر السابق، ج 1، ص 411.

58- أبو العباس بن يوسف بن محمد السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/ 1994م، ج 2، ص 11.

59- سورة آل عمران، الآية: 3.

60- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج 7، ص 170.

61- الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 799.

ثم أوضح ذلك ببيان حكمة التعبير بأنزل في قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ژ[62] فقال: "وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل لما روي: أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثم نزل نجمًا فنجمًا[63].

ويقول أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي عند تفسير آية سورة آل عمران: "فيسأل عن تخصيص الكتاب بلفظ "**نَزَّل**" المضاعف وتخصيص التوراة والإنجيل بلفظ "أنزل".

والجواب عن ذلك أن لفظ نَزَّل يقتضي التكرار لأجل التضعيف تقول: ضَرَب مخففًا لمن وقع منه ذلك مرة واحدة ويحتمل الزيادة والتقليل أنسب وأقوى.

أما إذا قلنا ضَرَّب بتشديد الراء فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه. فقوله تعالى: ژ ٻ ٻ ژ مشير إلى تفصيل المنزل وتنجيمه بحسب الدواعي وأنه لم ينزل دفعة واحدة.

أما لفظ "أنزل" فلا يعطي ذلك إعطاء نَزّل وإن كان محتملًا، وكذلك جرى في أحوال هذه الكتب فإن التوراة إنما أوتيها موسى جملة واحدة في وقت واحد وهو المراد بقوله تعالى: ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڄ ڃ ڃ ژ الآية[64]. أي المجموع.

أما الكتاب العزيز فنزل مقسطًا من لدُن ابتداء الوحي..."[65].

وذهب فريق من العلماء إلى عدم الفرق بين الفعل "أنزل" والفعل "نزّل" وإنما التضعيف لمجرد تقوية الفعل في كيفيته أو كميته. والتضعيف لمجرد النقل ويذهب إلى ذلك أبوحيان ويقرره بقوله: "وَنزَّلنا التضعيف فيه هنا للنقل وهو المرادف لهمزة النقل ويدل على مرادفتها في هذه الآية قراءة يزيد بن قطيب "مما أنزلنا" بالهمزة وليس التضعيف هنا دالًا على نزوله منجمًا في أوقات مختلفة خلافًا للزمخشري قال: فإن

62- سورة القدر، الآية: 1.

63- الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 800 وقد خرج المحقق الرواية فقال: "أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ژ قال: أنزل القرآن في ليلة القدر ثم نزل جبريل على رسول الله نجومًا بجواب كلام الناس ـ وأخرج سعيد بن منصور عن إبراهيم النخعي في الآية قال: نزل القرآن جملة على جبريل وكان جبريل يجيء بعدُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم". جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار المعرفة، بيروت، ج 7، ص398.

64- سورة الأعراف، الآية: 145.

65- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، تحقيق: محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ج 1، ص 141 ، 142.

قلت لم قيل: "مما نزلنا" على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت: لأن المراد النزول على التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي.

وهذا الذي ذهب إليه الزمخشري في تضعيف عين الكلمة هنا هو الذي يعبر عنه بالتكثير، أي: يفعل ذلك مرة بعد مرة فيدل على هذا المعنى بالتضعيف ويعبر عنه بالكثرة.

وذهل الزمخشري عن أن ذلك إنما يكون غالبًا في الأفعال التي تكون قبل التضعيف متعدية نحو جرحت زيدًا. وفتحت الباب وقطعت وذبحت، لا يقال جلس زيد ولا قعد عمرو ولا صام جعفر، و"نزلنا" لم يكن متعديًا قبل التضعيف إنما كان لازمًا وتعديه إنما يفيده التضعيف أو الهمزة فإن جاء في لازم فهو قليل. قالوا: مات المال وموّت المال إذ كثر ذلك فيه.

وأيضًا فالتضعيف الذي يراد به التكثير إنما يدل على كثرة وقوع الفعل أما أن يجعل اللازم متعديًا فلا. و"نزلنا" قبل التضعيف كان لازمًا ولم يكن متعديًا فيكون التعدي المستفاد من التضعيف دليلًا على أنه للنقل لا للتكثير إذ لو كان للتكثير وقد دخل على اللازم بقي لازمًا نحو مات المال وموت المال. وأيضًا لو كان التضعيف في "نَزّل" مفيدًا للتنجيم لاحتاج قوله تعالى: ژ□ □ □ □ □ □ □ژ[66] إلى تأويل لأن التضعيف دال على التنجيم والتكثير. وقوله: "جملة واحدة" ينافي ذلك.

وأيضًا فالقراءات بالوجهين في كثير مما جاء يدل على أنهما بمعنى واحد. وأيضًا مجيء "نزّل" حيث لا يمكن فيه التكثير والتنجيم إلا على تأويل بعيد جدًا يدل على ذلك، قال تعالى: ژٺ ٺ ٿ ٿ ٿژ[67] وقال تعالى: ژ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ىژ[68]، ليس المعنى على أنهم اقترحوا تكرير نزول الآية ولا أنه علق تكرير نزول ملك رسول على تقدير كون ملائكة في الأرض وإنما المعنى والله أعلم مطلق الإنزال"[69].

وقد سلك الطاهر بن عاشور مسلك أبي حيان باختلاف يسير حيث قال: "فأما إذا صار التضعيف للتعدية فلا أوقن بأنه يدل على تقوية الفعل إلا أن يقال: إن العدول عن التعدية بالهمز إلى التعدية بالتضعيف لقصد ما عهد في التضعيف من تقوية معنى الفعل فيكون قوله: ژﭘ ﭙ ﭚژ[70] أهم من

66- سورة الفرقان، الآية: 32.

67- سورة الأنعام، الآية: 37.

68- سورة الإسراء، الآية: 95.

69- أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، دار الفكر، بيروت، ج 1، ص 103.

70- سورة آل عمران، الآية: 3.

قوله: ژٹ ٿژ[71] للدلالة على عظم شأن نزول القرآن"[72].

وإني أرى أن كلا المذهبين على صواب حيث فسر كل مذهب لفظي "أنزل" "ونَزَّل" حسب موضعهما من السياق ومن حيث خصوص اللفظ وعمومه.

فالمذهب الأول فرق بين اللفظين عند تفسير آية آل عمران. والمذهب الثاني لم يفرق بين اللفظين عند تفسير آية البقرة ژۈ ۋ ې ې ٻ ٻ □ □ژ[73] فقد ذكر "نزلنا" ولم يذكر ما يقابله وهو أنزلنا.

ولذلك أرى أن ما قاله الإمام الآلوسي يجمع بين الرأيين ويقرب نظر الفريقين ويعتبر رأيًا ثالثًا، حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: ژٹ ٿ ٿژ: "والتعبير بأنزل فيهما للإشارة إلى أنه لم يكن لهما إلا نزول واحد وهذا بخلاف القرآن فإن له نزولين:

1- نزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة واحدة.

2- ونزول من ذلك إليه صلى الله عليه وسلم منجمًا في ثلاث وعشرين سنة على المشهور.

ولهذا يقال فيه: نَزَّل وأنزل.

وهذا أولى مما قيل إن "نَزَّل" يقتضي التدريج وأنزل يقتضي الإنزال الدفعي إذ يشكل عليه: ژ□ □ □ □ □ □ژ[74] حيث قرن نَزل بكونه جملة. وقوله تعالى: ژٻ ٻ □ □ □ژ[75].

وذكر بعض المحققين لهذا المقام أن التدريج ليس هو التكثير بل الفعل شيئًا فشيئًا كما في تسلسل. والألفاظ لابد فيهما من ذلك فصيغة "نَزَّل" تدل عليه والإنزال مطلق لكنه إذا قامت القرينة يراد بالتدريج التنجيم وبالإنزال الذي قد قوبل به خلافه أو المطلق بحسب ما يقتضيه المقام[76].

ومن ذلك يظهر أنه لا تضاد بين الفريقين وأن كلا الرأيين صواب وأن أساس التفريق بين اللفظين "نَزّل وأنزل" يرجع إلى استعمالات القرآن الكريم في سياق ذكر أحد اللفظين أو ذكرهما معًا. والله أعلم. والأرجح أن للقرآن تنزلات أوضحها في الصفات التالية.

المبحث الثاني: تنزلات القرآن الكريم:

71- سورة آل عمران، الآية: 3.

72- محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 3، ص 147، 148.

73- سورة البقرة، الآية: 23.

74- سورة الفرقان، الآية: 32.

75- سورة النساء، الآية: 140.

76- الآلوسي، **روح المعاني**، ج 3، ص 76.

1- **بيان أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل:**

إن الإيمان الصادق واليقين الثابت المتيقن في قلب كل مسلم أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل. وهذه الحقيقة تقررها وتؤكدها آيات القرآن العظيم.

يقول تعالى: ﮋﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﮊ[77]. ويقول تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﮊ[78]. ويقول تعالى: ﮋﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﮊ[79]. ويقول تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﮊ[80]. ويقول تعالى: ﮋ□ □ □ □ □ □ □ □ □ﮊ[81]. ويقول تعالى: ﮋﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮊ[82]. ويقول تعالى: ﮋ□ □ ﯥ ﯦ ﯧ □□ □ □ □ □ﮊ[83]. ويقول تعالى: ﮋﯜ ﯝ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﮊ[84]. وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تنص نصًا صريحًا أن القرآن كلام الله عزوجل وأن القرآن نزل من عند الله عز وجل وأن الله عز وجل أوحاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام. وكم في الكتاب والسنة من دليل على أن كتاب الله عز وجل وكلام الله عز وجل قديم وليس بمخلوق.

يقول الطحاوي: "وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولًا وأنزله على رسوله وحيًا وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﮋﭻ ﭼﮊ[85].

فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﮋﭱ ﭲ ﭳ ﭴﮊ[86] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه

77- سورة غافر، الآيتان: 1، 2.

78- سورة فصلت، الآيتان: 1، 2.

79- سورة الزمر، الآية: 1.

80- سورة السجدة، الآيتان: 1، 2.

81- سورة النحل، الآية: 102.

82- سورة المائدة، الآية: 67.

83- سورة الكهف، الآية: 27.

84- سورة التوبة، الآية: 6.

85- سورة المدثر، الآية: 26.

86- سورة المدثر، الآية: 25.

قول البشر"[87]. يقول الشارح ابن أبي العز: "هذه قاعدة شريفة وأصل كبير من أصول الدين ضل فيه طوائف كثيرة من الناس. وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تُغَيِّر بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة"[88].

ثم ذكر كلام الناس وأقوالهم في مسألة كلام الله عز وجل إلى أن قال: "وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بلا صوت يُسمع وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة"[89].

2- **وجود القرآن في اللوح المحفوظ:**

إن الله تعالى قد سجل القرآن في اللوح المحفوظ الذي جعله الله سجلًا جامعًا لكل ما قضى الله مما كان وما يكون وما سيكون قال تعالى: ﮋے ۓ ۓ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ[90] ويقول تعالى: ﮋ□ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ[91] ويقول تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﮊ[92] ويقول تعالى: ﮋﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﮊ[93] ويقول تعالى: ﮋ□ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ[94] ويقول تعالى: ﮋﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮊ[95] ويقول تعالى: ﮋ□ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ ﮊ[96] ويقول تعالى: ﮋﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ

87- القاضي علي بن علي بن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1413هـ/ 1993م، ص 172.

88- المرجع السابق.

89- المرجع السابق، ص 174.

90- سورة الحديد، الآية: 22.

91- سورة يونس، الآية 61.

92- سورة هود، الآية: 6.

93- سورة الرعد، الآية: 39.

94- سورة الإسراء، الآية: 58.

95- سورة الأنبياء، الآية: 105.

96- سورة النمل، الآية: 75.

ﮊﮋ[97] ويقول تعالى: ﮋ□ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﮋ[98] ويقول تعالى: ﮋﭬ

ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﮊ[99] ويقول تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖﮊ[100] ويقول تعالى: ﮋﭴ ﭵ ﭶ ﭷ

ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮊﮋ[101] ويقول تعالى: ﮋ □ □ □ □

□□ □ □ ﮋ[102] ويقول تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ

ﮑﮊ[103]. وغير ذلك من الآيات. فالكتاب المذكور في جميع هذه الآيات الكريمة هو اللوح المحفوظ.

وقد زاد الله تعالى تقرير وإثبات وجود القرآن الكريم في اللوح المحفوظ وتسجيله ضمن ما أثبته الله تعالى وسجله من عوالم مقدوراته ومقتضياته وتكويناته ومظهراته حيث نص على القرآن نصًا خاصًا.

فقال تعالى في سورة الزخرف: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮊ[104] وقال تعالى في سورة الواقعة: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﮊ[105] وقال تعالى في سورة البروج: ﮋ □ □ □ □□ □ □ □ ﮋ[106].

ففي آية سورة الزخرف بيّن الله عز وجل شرف القرآن في الملأ الأعلى وأنه مسجل مكتوب في أم الكتاب أي اللوح المحفوظ وأنه عند الله عز وجل ذو مكانة عظيمة وشرف فائق وفضل سام وأنه كتاب

97- سورة سبأ، الآية: 3.

98- سورة فاطر، الآية: 11.

99- سورة ق، الآية: 4.

100- سورة الواقعة، الآيتان: 77، 78.

101- سورة الأنعام، الآية: 38.

102- سورة البروج، الآيتان: 21، 22.

103- سورة الزخرف، الآيات: 1-4.

104- سورة الزخرف، الآيات: 1-4.

105- سورة الواقعة، الآيات: 75-80.

106- سورة البروج، الآيتان: 21- 22.

محكم متقن بريء من اللبس والزيغ[107].

وتأتي آيات سورة الواقعة لتأكيد ذلك وتوثيقه وتوضيحه فيقول تعالى: ژ ى ى ى □ □ □
□ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹژ[108].

فالله سبحانه وتعالى يقسم بمواقع ونزول نجوم وقطع القرآن الكريم على أرجح الآراء. أو بمطالع النجوم والكواكب على رأي أو بسقوط المطر على رأي.

يقسم الله تعالى بهذا القسم العظيم لتعظيم المقسم عليه وهو القرآن ژٱ ٻ ٻژ أي: إن هذا القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لكتاب معظم كائن في كتاب معظم محفوظ موقر ومن عظمته وعلو مقامه لا يمسه إلا الملائكة المطهرون ومن ثم لا يجوز أن يمسه إلا المطهرون من الخلق عامة. وأن هذا القرآن منزل من الله رب العالمين فهو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع. ففي الآيات تقرير وزيادة تأكيد وتوثيق على أن القرآن مسجل في اللوح المحفوظ عند الله عز وجل.

وتأتي آيات سورة البروج لتزيد ذلك تدعيمًا وتأكيدًا وتقريرًا وتنصيصًا على أن القرآن موجود في اللوح المحفوظ ومسجل فيه ومنه نزل إلى رسولنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى: ژ □
□ □ □□ □ □ □ژ[109] أي: هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

أخرج ابن جرير عن أنس بن مالك قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله ژ □ □ □ □
□□□ □ □ژ في جبهة إسرافيل.

وأخرج ابن حاتم عن أبي الأعبس هو عبدالرحمن بن سلمان قال: ما من شيء قضى الله. القرآن فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه.

وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه[110].

وروى البغوي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة. قال: واللوح لوح

107- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة، بيروت، ج 4، ص 132 بتصرف.

108- سورة الواقعة، الآيات: 75-80.

109- سورة البروج، الآيتان: 21-22.

110- انظر هذه الآثار والمرويات في **تفسير ابن كثير**، ج 4، ص 530.

من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه من الدر والياقوت، ودفتاه ياقوته حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك[111]. هذه آثار ومرويات لا نقف على صحيحها من سقيمها.

يقول الآلوسي: "ونحن نؤمن به ولا يلزمنا البحث عن ماهيته وكيفية كتابته ونحو ذلك. نعم نقول: إن ما يزعمه بعض الناس من أنه جوهر مجرد ليس في حيز وأنه كالمرأة للصور العلمية مخالف لظواهر الشريعة وليس له مستند من كتاب ولا سنة أصلًا[112].

وروى ابن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصفهاني في **كتاب العظمة**: بسنده عن ابن سابط في قول الله عز وجل: ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮊ[113] قال: في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة ووكل ثلاثة من الملائكة أن يحفظوه: فوكل جبريل بالكتاب أن ينزل به إلى الرسل، ووكل جبريل أيضًا بالهلكات إذا أراد الله عز وجل أن يهلك قومًا، ووكل أيضًا بالنصر عند القتال هذا جبريل عليه السلام، ووكل ميكائيل بالحفظ للقطر ونبات الأرض، ووكل ملك الموت عليه السلام بقبض الأنفس، فإذا ذهبت الدنيا جمع بين حفظهم وما في أم الكتاب فيجدونه سواء"[114].

3 - **حِكَم وأسرار وجود القرآن وتسجيله في اللوح المحفوظ:**

إن حِكَم وأسرار وجود القرآن الكريم وتسجيله في اللوح المحفوظ يمكن استنباطها من الآيات السابقة التي جاء النص فيها صريحاً على أن القرآن في اللوح المحفوظ تنتظمها الأمور الآتية:

1 - التنويه بشأن القرآن الكريم وسمو شرفه وعلو رتبته، فقد وصفه الله عز وجل بأنه "كريم" أي: النفيس الرفيع في نوعه. وهذا تفضيل للقرآن على أفراد نوعه من الكتب الإلهية مثل التوراة والإنجيل والزبور وفضله عليها بأنه فاقها في استيفاء أغراض الدين وأحوال المعاش والمعاد وإثبات المعتقدات بدلائل التكوين فهذا وصف للقرآن بالرفعة والسمو على جميع الكتب حقًا[115].

111- المرجع السابق، ج 4، ص 530-531 والآلوسي، **روح المعاني**، ج 30، ص 93 -94.

112- الآلوسي، **روح المعاني**، ج 30، ص 94.

113- سورة الزخرف، الآية: 4.

114- أبو الشيخ الأصفهاني، **كتاب العظمة**، تحقيق: مصطفى عاشور ومجدي السيد إبراهيم، ص 225، 226. يقول المحقق في الهامش: إسناده منقطع ورجاله ثقات، وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر كما في **الدر المنثور**، ج 6، ص 13.

115- مقتبس بتصرف من **تفسير التحرير والتنوير** للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج 30، ص 253.

2- التأكيد على موافقة القرآن العظيم ومطابقته لما في علم الله تعالى حيث وصفه الله تعالى بأنه ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ فالكتاب هو اللوح المحفوظ ووصفه بأنه مكنون اشتقاقًا من الاكتنان وهو الاستتار أي محجوب عن أنظار الناس فهو أمر مغيب لا يعلم كنهه إلا الله تعالى وهذا فيه إشعار وإعلام بأن ألفاظ القرآن ومعانيه موافقة لما في علم الله تعالى وإرادته وأمره الملك بتبليغه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك شؤون محجوبة عنا فلذلك وصف الكتاب بالمكنون.

3- الإعلام بأن القرآن الكريم كائن قدسي علوي من كائنات العالم العلوي. وهذا ما يشعر به قوله تعالى: ﮋ □ □ □ﮊ[116] فهذا تنويه بالقرآن وباللوح يعني أن اللوح كائن قدسي من كائنات العالم العلوي. وهذا يغاير ما ذكره الله تعالى في شأن التوراة فقد جعل الله تعالى التوراة مكتوبة في ألواح وأعطاها موسى عليه السلام فقال تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ[117]، وقال تعالى: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ[118].

4- إن القرآن الكريم قد وصفه الله تعالى بكل الأوصاف الدالة على كماله ونفاسته وعلو قدره ومقداره من حيث وجوده في اللوح المحفوظ.

فوصفه مرة بأنه: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ في سورة الواقعة، ووصفه مرة أخرى بأنه ﮋ □ □ □ﮊ. وهذا ما يبين أن اللوح المحفوظ والكتاب المكنون شيء واحد.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "وأما المحفوظ والمكنون فبينهما تغاير في المفهوم وعموم وخصوص وجهي في الوقوع. فالمحفوظ: المصون عن كل ما يثلمه وينقصه ولا يليق به، وذلك كمال له. والمكنون: الذي لا يباح تناوله لكل أحد وذلك للخشية عليه لنفاسته..."[119].

وقد قرأ الجمهور ﮋ □ﮊ بالجر على أنه صفة ﮋ □ﮊ وحفظ اللوح الذي فيه القرآن كناية عن حفظ القرآن، وقرأ نافع وحده برفع ﮋ □ﮊ على أنه صفة ثانية للقرآن، ويتعلق قوله: ﮋ □ □ﮊ بـ: ﮋ □ﮊ، وحفظ القرآن يستلزم أن اللوح المودع هو فيه محفوظ أيضًا. فلا جرم حصل من القراءتين ثبوت الحفظ للقرآن

116- سورة البروج، الآية: 22.

117- سورة الأعراف، الآية: 145.

118- سورة الأعراف، الآية: 154.

119- الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 30، ص 254.

واللوح. فأما حفظ القرآن فهو حفظه من التغيير ومن تلقي الشياطين، قال تعالى: ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ژ[120].

وأما حفظ اللوح فهو حفظه عن تناول غير الملائكة إياه أو حفظه كناية عن تقديسه كقوله تعالى: ژ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ژ[121].

5- جميع ذلك يستحث المسلم المؤمن الصادق المخلص على تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه والتدبر لآياته والعمل بأحكامه والتحلي بحكمه والاسترشاد والاستهداء بعبره ومواعظه.

المبحث الثالث: كيفية نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ- لقد تناول العلماء هذا الموضوع قديمًا وحديثًا فتكلموا وبحثوا كيفية نزول القرآن الكريم ومرات نزوله وتنزلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن أهم المؤلفات التي درسته قديمًا:

1- كتاب **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، تأليف: شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي المتوفى سنة 665هـ. في الباب الأول بعنوان: "في البيان عن كيفية نزول القرآن وتلاوته وذكر حفاظه في ذلك الأوان"[122].

2- وكتاب **البرهان في علوم القرآن**، تأليف: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي المتوفى 794هـ. في النوع الثاني عشر بعنوان: "في كيفية إنزاله"[123].

3- وكتاب **الإتقان في علوم القرآن**، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ. في النوع السادس عشر بعنوان: "في كيفية إنزاله"[124].

ومن أهم المؤلفات التي درسته حديثًا:

1- كتاب **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تأليف: الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني. في المبحث الثالث بعنوان: "في نزول القرآن"[125].

2- وكتاب **مباحث في علوم القرآن**، تأليف: الدكتور صبحي الصالح. في الفصل الثالث بعنوان:

120- سورة الحجر، الآية: 9.

121- سورة الواقعة، الآيتان: 78، 79. ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 30، ص 255.

122- أبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، دار صادر، بيروت، ص 9 -31.

123- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج 1، ص 228 - 232.

124- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تقديم وتعليق: محمد شريف شكر، مكتبة المعارف، الرياض، ج 1، ص 116 -124.

125- الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 42-63.

"تنجيم القرآن وأسراره"[126].

3- وكتاب **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، تأليف: محمد أبوشهبة. في المبحث الثاني بعنوان: "نزول القرآن الكريم"[127].

4- وكتاب **دراسات حول القرآن الكريم**، تأليف: الدكتور إسماعيل الطحان، (3) تنزلات القرآن: كيفيتها وحكمتها[128].

5- وكتاب **مدخل إلى القرآن والحديث**، تأليف: الدكتور عدنان محمد زرزور. في الفصل الثالث بعنوان: "نزول القرآن والحكمة من تنجيمه"[129].

6- وكتاب **التبيان في علوم القرآن**، تأليف: الدكتور محمد علي الصابوني. في الفصل الثالث بعنوان: "حكمة نزول القرآن مفرقًا"[130].

وقد توالت الكتب والمؤلفات وتكاثرت وتعددت في بعض مباحث علوم القرآن وأنواعها، منها ما تناول بحث نزول القرآن، ومنها ما لم يتناوله، ومن تناول هذا الموضوع لا تتجاوز دراسته تلخيص ما جاء في **البرهان** للزركشي و**الإتقان** للسيوطي بل وتكرار ما جاء في هذين المصدرين، ولا عجب في هذا حيث إن علوم القرآن لا تؤخذ إلا عن طريق الرواية عن الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم ولا عمل للدارس لها إلا طريقة العرض وأسلوب التأليف والتنظيم بين جزئيات الموضوع وجوانبه، وإني إذ أذكر ذلك إنما أسوقه كمقدمة وتمهيد لما أتناوله من جوانب وعناصر موضوع.

ب- كيفية نزول القرآن:

لقد أوضحت فيما سبق معنى نزول القرآن والفرق بين ألفاظ مادة "ن ز ل"، وتحدثت عن وجود القرآن وتسجيله في اللوح المحفوظ وأسرار ذلك وحكمته، وذكرت أن وجود القرآن في اللوح المحفوظ لا يسمى نزولًا، ومن ثم فقد أفردت كيفية النزول بمبحث خاص لتصريح القرآن الكريم بذلك.

النزول الأول: إن العلماء قد ذكروا أربعة آراء في كيفية نزول القرآن من اللوح المحفوظ.

126- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، ص 49-62.

127- محمد أبو شهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص 46-57.

128- الطحان، **دراسات حول القرآن الكريم**، ص 39-53.

129- عدنان زرزور، **مدخل إلى القرآن والحديث**، ط1، ص 95-118.

130- انظر: محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، الفصل الثالث.

القول الأول: إن القرآن الكريم نزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في مدة بعثته صلى الله عليه وسلم. واستدل من قال بهذا الرأي بالآثار الآتية:

1- ما أخرجه الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض"(131).

2- وأخرج الحاكم والبيهقي والنسائي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ: ژﭐ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗژ(132) ژﭐ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ژ(133)". وفي رواية ابن أبي حاتم "وكان المشركون إذا أحدثوا شيئًا أحدث الله لهم جوابًا"(134).

3- وأخرج الحاكم من طريق حسان بن حريث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم ويرتله ترتيلًا"(135).

4- وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس قال: "أنزل القرآن ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا جملة ثم أنزل نجومًا"(136).

131- انظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 116. وانظر: **مناهل العرفان**، ج 1، ص 33.

132- سورة الفرقان، الآية: 33.

133- سورة الإسراء، الآيتان: 105-106.

134- **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 116.

135- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 117. ويعلق السيوطي على هذه الرواية وما سبقها بقوله: "أسانيدها كلها صحيحة". أخرجه الحاكم النيسابوري في **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، 2، رقم: 2881، ج10، ص 242، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال في **التلخيص**: صحيح.

136- انظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 117. وقد علق السيوطي بقوله: "إسناده لا بأس به". الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ج 11، ص 312، رقم: 11839. والطبراني، **المعجم الأوسط**، ج 2، ص 287، رقم: 1502. والهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب التفسير، سورة إنا أنزلناه، ج7، ص 140، وقال: رواه الطبراني في **الأوسط** و**الكبير** وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

5- وأخرج الطبراني من وجه آخر عنه قال: "أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا. ونزله جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم"[137].

6- وأخرج ابن أبي شيبة في **فضائل القرآن** من وجه آخر عنه "رفع إلى جبريل ليلة القدر جملة واحدة فوضع إلى بيت العزة ثم جعل ينزل تنزيلًا[138].

7- وأخرج البيهقي في **الأسماء والصفات** من طريق السدي عن محمد عن ابن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الأسود فقال: إنه وقع في قلبي الشك في قوله تعالى: ژڳ ڳ گ گ گ گژ[139]، وقوله تعالى: ژٱ ٻ ٻ ٻ ٻژ[140]، وقوله سبحانه: ژپ پ پ پ پژ[141]، وهذا أنزل في شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وشهر ربيع الأول، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه نزل في رمضان، وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم: رسلًا في الشهور والأيام[142].

فقال ابن عباس: "إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلًا في الشهور والأيام"[143]. "رسلًا" أي رفقًا وقوله: "على مواقع النجوم" أي على مثل مواقع النجوم ومواقعها مساقطها يريد أنزل مفرقًا يتلو بعضه بعضًا على تؤدة ورفق، فقوله: على مواقع النجوم في

137- الطبراني، **المعجم الكبير**، ج 12، ص 32، رقم: 12382. والهيثمي في **مجمع الزوائد**، كتاب التفسير، سورة إنا أنزلناه، ج 7، ص 140، وقال: رواه الطبراني والبزار باختصار ورجال البزار رجال الصحيح وفي إسناد الطبراني عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف.

138- ابن أبي شيبة، **المصنف**، كتاب فضائل القرآن، 46 في القرآن متى نزل، ج 7، ص 191، رقم: 4.

139- سورة البقرة، الآية: 185.

140- سورة القدر، الآية: 1.

141- سورة الدخان، الآية: 3.

142- "إسناده حسن" رجال الإسناد ثقات سوى السدي وهو إسماعيل بن عبد الرحمن وهو حسن الحديث. أخرجه البيهقي في **الأسماء والصفات**، باب قول الله عز وجل: ژۋ ۋ و ۆۋژ سورة الروم، الآية: 4، ج1، ص 574، رقم: 501. وأخرجه الطبراني في **الكبير**، ج 11، ص 391، رقم: 2095 من طرق أخرى عن مقسم، وفي سنده سعيد بن طريف وهو متروك كما قال الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج 6، ص 316.

143- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 117. وأبو شامة، **المرشد الوجيز على علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 11.

موقع نصب على الحال ورسلًا أي: ذا رسل يريد مفرقًا رافقًا. وغير ذلك من الآثار.

ومن مجموع هذه الروايات نستفيد ما يأتي:

1- أن القرآن الكريم فصل من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان جملة واحدة ووضع في بيت العزة من السماء الدنيا.

2- أن القرآن أخذ يتنزل من بيت العزة بحمله جبريل عليه السلام إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم طوال مدة بعثته صلى الله عليه وسلم.

3- أن القرآن الكريم نزل مقسطًا ومنجمًا من بيت العزة في السماء الدنيا على الرسول صلى الله عليه وسلم.

4- أن نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة كان في شهر رمضان في ليلة القدر منه وهي الليلة المباركة.

5- أن القرآن الكريم كان يتنزل جوابًا لأسئلة الناس ومعالجة للحوادث والقضايا المتجددة.

وهذا القول قد رجحه وارتضاه وذهب إليه كثير من العلماء كالزركشي(144) والسيوطي(145) وأبي شامة المقدسي(146). وغيرهم(147).

مستدلين بالروايات المتقدمة المروية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "ومعلوم أن هذا لا يقوله ابن عباس بمحض الرأي فهو محمول على سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعه من النبي من الصحابة ومثل هذا له حكم المرفوع. لأن القاعدة عند أئمة الحديث: أن قول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات فيما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع وبذلك ثبتت حجية هذه الآثار"(148).

ويقول ابن حجر: "وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك مفرقًا هو الصحيح المعتمد"(149).

القول الثاني: أن القرآن الكريم كان ينزل منه في ليلة القدر من كل سنة ما يقدر الله تعالى إنزاله في

144- **البرهان في علوم القرآن**، ج 1، ص 228.

145- **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 116.

146- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 11.

147- محمد أبو شهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص 52.

148- المرجع السابق، ص 51.

149- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، ج 19، ص 4.

كل سنة ثم ينزل هذا القدر بعد ذلك منجمًا ومقسطًا في جميع أيام السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم(150). وهذا القول ذكره القرطبي عن مقاتل وعقب عليه بأنه خلاف ما نقل من الإجماع أن القرآن أنزل جملة واحدة(151).

القول الثالث: أن القرآن الكريم ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجمًا في أوقات مختلفة من سائر الأوقات. يقول الماوردي: "أن الله تعالى ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر قاله الشعبي"(152). وهذا القول ينفي النزول جملة واحدة إلى السماء الدنيا.

وقد اعتمد هذا القول وذهب إليه الأستاذ الشيخ محمد عبده، وقال: إن ما جاء من الآثار الدالة على نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا مما لا يصح الاعتماد عليه لعدم تواتر خبره عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لا يجوز الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه وإلا كان اتباعًا للظن وذهب إليه أيضًا الدكتور صبحي الصالح(153).

القول الرابع: أن القرآن الكريم نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة(154).

يقول ابن حجر: "وهذا أيضًا غريب والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة، كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه أبوعبيد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح"(155).

واستدل من قال بذلك بما رواه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: "نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام البررة الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة"(156).

هذا وقد ضعف العلماء الأقوال الثلاثة الأخيرة لكونها اعتمدت على روايات واهية ضعيفة.

150- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج 1، ص 228. والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 117.

151- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 1، ص 297، 298.

152- **تفسير الماوردي** المسمى **النكت والعيون**، الكويت، ج 4، ص 489.

153- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، ص 50، 51.

154- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج 19، ص 4.

155- المرجع السابق. وأبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 18، 19.

156- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 42.

ولكون القول الأول قد اعتمد على الروايات الصحيحة المقبولة.

ومع اعتقادي وإيماني بالرأي الأول، فإني أرى أن قضية نزول القرآن من اللوح المحفوظ من الأمور الغيبية التي لا يرقى إليها الحس والمشاهدة وإنما يعتمد الإيمان بها على الدليل السمعي. فإذا صح الدليل السمعي أخذنا به وتركنا ما سواه بدون ما حرج ولا إثم على من قال بخلافه.

وبناء على هذه الأقوال اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ژﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟژ(157)، وقوله تعالى: ژﭑ ﭒ ﭓ ﭔژ(158)، وقوله تعالى: ژﭙ ﭚ ﭛ ﭜژ(159).

فعلى القول الأول الراجح: أن الله أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر منه، وهي الليلة المباركة. وعلى القول الثاني: أن الله عز وجل كان ينزل في كل ليلة قدر في كل سنة ما يريد إنزاله على رسوله محمد صلى الله عليه سلم. وليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة. وعلى القول الثالث: أن الله عز وجل ابتدأ إنزال القرآن الكريم في ليلة القدر، ثم توالى الإنزال بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة. وعلى القول الرابع: أن الله عز وجل أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر على الحفظة من الملائكة وأن الحفظة نجمته على جبريل وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في طوال مدة البعثة النبوية. وليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة.

ج- حِكَم وأسرار نزول القرآن الكريم جملة إلى السماء الدنيا:

قد أوضح العلماء والمفسرون هذه الحكم والأسرار توضيحًا ظاهرًا فيقول أبو شامة المقدسي: "فإن قلت ما السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا؟ قلت: فيه تفخيم لأمره وأمر من أنزل عليه وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجمًا بحسب الوقائع لم نهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله تعالى باين بينه وبينها فجمع له الأمرين إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقًا. وهذا من جملة ما شرف به نبينا صلى الله عليه وسلم كما شرف بحيازة درجتي الغني الشاكر والفقير الصابر فأوتي مفاتيح خزائن الأرض فردها واختار الفقر والإيثار بما فتح الله عليه من البلاء، فكان غنيًا شاكرًا

157- سورة البقرة، الآية: 185.

158- سورة القدر، الآية: 1.

159- سورة الدخان، الآية: 3.

وفقيرًا صابرًا صلى الله عليه وسلم.

فإن قلت: في أي زمان نزل جملة إلى السماء الدنيا أبعد ظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أم قبلها؟ قلت: الظاهر أنه قبلها وكلاهما محتمل. فإن كان بعدها فالأمر على ما ذكرناه من التفخيم له ولمن أنزل عليه. وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر، لأن فيه إعلام الملائكة بقرب ظهور أمة أحمد المرحومة الموصوفة في الكتب السابقة، وإرسال نبيهم خاتم الأنبياء. كما أعلم الله سبحانه وتعالى الملائكة قبل خلق آدم بأنه جاعل في الأرض خليفة، وكما أعلمهم أيضًا قبل إكمال خلق آدم عليه السلام بأنه يخرج من ذريته محمد وهو سيد ولده وعلى ذلك حملنا قوله صلى الله عليه وسلم: "كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين"(160)(161).

فإن قيل: ما السر في إنزاله جملة إلى السماء؟ قيل: فيه تفخيم لأمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلان سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ولقد صرفناه إليهم لينزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجمًا بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة(162).

ووقفت على كلام حسن للحكيم الترمذي أبي عبدالله محمد بن علي في تفسيره فقال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا تسليمًا منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحفظ بمبعثه محمدًا صلى الله عليه وسلم وذلك أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كانت رحمة فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن. فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حد الدنيا ووضعت النبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجاء جبريل عليه السلام بالرسالة ثم الوحي. كأنه أراد تبارك وتعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظ هذه الأمة من الله تعالى إلى الأمة.

160- في **سنن الترمذي** وغيره عن أبي هريرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت أو كتبت نبيًا؟ قال: كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد. وقال الترمذي حسن صحيح وصححه الحاكم أيضًا. وأما الذي يجري على الألسنة بلفظ "كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين" فلم نقف عليه بهذا اللفظ فضلًا عن زيادة وكنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين، وقال الحافظ ابن حجر في بعض أجوبته عن الزيادة أنها ضعيفة والذي قبلها أقوى، وقال الزركشي لا أصل له بهذا اللفظ. انظر: العجلوني، **كشف الخفاء**، ج 2، ص 1002.

161- أبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 24، 25.

162- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، بيروت، ج 1، ص 230. وانظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص119، 120. وانظر: الزرقاني، **ماهل العرفان في علوم القرآن**، ج 1، ص 34.

ثم أجرى من السماء الدنيا الآية بعد الآية عند نزول النوائب، قال الله تعالى: ژک ک گ گ گژ[163] وقال عز وجل: ژڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک کژ[164][165].

وقال الشيخ أبو الحسن في كتابه **جمال القراء**: "في ذلك تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله عز وجل بهم ورحمته لهم. ولهذا المعنى أمر سبعين ألفًا من الملائكة، لما أنزل سورة الأنعام، أن تزفها. وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة عليهم السلام، وإنساخهم إياه ، وتلاوتهم له ..."[166].

ويقول الإمام الفخر الرازي عند تفسيره لسورة القدر بعد أن ذكر قول ابن عباس: "أنزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر ثم إلى الأرض نجومًا.

فعلى هذا القول لِمَ لَمْ يقل أنزلناه إلى السماء؟ لأن إطلاقه يوهم الإنزال إلى الأرض. لأنا نقول: إن إنزاله إلى السماء كإنزاله إلى الأرض. لأنه لم يكن ليشرع في أمر ثم لا يتمه وهو كغائب جاء إلى نواحي البلد يقال: جاء فلان. أو يقال: الغرض من تقريبه وإنزاله إلى سماء الدنيا أن يشوقهم إلى نزوله كمن يسمع الخبر بمجيء منشور لوالده أو أمه فإنه يزداد شوقه إلى مطالعته كما قال:

وأبرَحُ ما يكون الشوق يَوْمًا إذا دَنت الدِّيار مِنَ الديار[167]

وهذا لأن السماء كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة كما قال: ژۇ ۇ ۆ ۆژ[168] فإنزاله القرآن هناك كإنزاله ههنا"[169].

ويقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه **مناهل العرفان**: "وفي تعدد النزول وأماكنه مرة في اللوح وأخرى في بيت العزة وثالثة على قلب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للإيمان وباعث على الثقة فيه لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت

163- سورة الأنبياء، الآية: 107.

164- سورة يونس، الآية: 57.

165- انظر: **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 27.

166- أبو الحسن علي بن محمد السخاوي، **جمال القراء وكمال الإقراء**، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، ط1، 1418هـ/ 1997م، جزء 1، ص 67.

167- أبو عبدالله محمد ابن الأبّار القضاعي البلنسي، **ديوان ابن الأبّار**، ص 200.

168- سورة الأنبياء، الآية: 32.

169- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، جزء 32، ص 27، 28.

له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب عنه وأدعى إلى تسليم ثبوته وأدنى إلى وفرة الإيقان به مما سجل في سجل واحد أو كأن له وجود واحد"[170].

د- **مدة بعثته صلى الله عليه وسلم وهي زمن نزول القرآن الكريم:**

ولا يفوتني هنا أن أنبه إلى مدة البعثة المحمدية من يوم أن بعثه الله تعالى رسولًا إلى الخلق إلى يوم انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى. حيث إنه قد ورد في الروايات السابقة أن جبريل عليه السلام، نجم القرآن على الرسول في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين. ولكون هذا تمهيدًا للنزول الثاني للقرآن وهو نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبيان القول في مدة بعثته صلى الله عليه وسلم وهي المدة التي نزل القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فيها: أنه بدئ الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة وذلك في الثاني عشر من ربيع الأول ومكث على ذلك إلى اليوم السابع عشر من رمضان وهو اليوم الذي نزل عليه فيه صدر سورة العلق فيكون جملة ذلك ستة أشهر وخمسة أيام. ثم أقام صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة. وهذا ما استخلصه العلماء المحققون من مجموع الأحاديث الواردة في ذلك.

فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين"[171].

ولقد كانت آخر آية نزلت من القرآن هي قوله تعالى: ژ□ □ □ □ ى ىٓ ي □ □ □ □ □ □ □ □ژ[172]. وقد روي أنها نزلت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسعة أيام. وقيل بأحد عشر يومًا وقيل: بواحد وعشرين يومًا. فلو أخذ بالمتوسط تكون جملة المدة التي لم ينزل فيها القرآن ستة أشهر وستة عشر يومًا.

فإذا كانت جملة عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين عامًا لأنه توفي في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة كما عليه الجمهور[173]. فتكون مدة بعثته ثلاثًا وعشرين سنة، فإذا أنقصنا منها

170- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج 1، ص 48.

171- أخرجه البخاري في **صحيحه**، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ج 5، ص 153.

172- سورة البقرة، الآية: 281.

173- انظر: المباركفوري، **الرحيق المختوم**، دار الإيمان، ص 469.

ستة أشهر وستة عشر يومًا يصير الباقي اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يومًا(174).

ح- النزول الثاني للقرآن الكريم وهو نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجمًا ومقسطًا:

والمقصود بالنزول الثاني هو نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجمًا ومقسطًا. فمما سبق من بيان مدة بعثته صلى الله عليه وسلم يتبين لنا أن القرآن الكريم استمر إنزاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال هذه المدة. وهذا أقوى دليل وأيقن برهان على أن القرآن نزل منجمًا ومقسطًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب الوقائع ووفق الأحداث والقضايا وتجدد الأسئلة. وهذا ما صرحت به نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﮋ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ(175).

فهذه الآية الكريمة تدل على نزول القرآن منجمًا ومقسطًا بالوجوه الآتية:

1- قوله: ﮋﭝﮊ على قراءة التخفيف والتشديد، حيث إن الفرق يتضمن التفريق فكما يطلق الفرق على البيان والتوضيح يطلق على التفريق والتنجيم.

2- قوله: ﮋﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ فهو تعليل لقوله: ﮋﭝﮊ يتضمن علتين هما:

- أن يقرأ على الناس وتلك علة لجعله قرآنًا.
- وأن يقرأ على مكث، أي: مهل وتؤدة وبطء، وهي علة لتفريقه لتكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس السامعين.

3- قوله: ﮋﭣﮊ وهو معطوف على قوله: ﮋﭜ ﭝﮊ لتأكيد تفريقه وتنجيمه في نزوله ثم التعبير بالفعل المضعف ﮋﭣﮊ وتأكيده بالمفعول المطلق للإشارة إلى تفريق إنزاله المذكور في قوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ (176)(177).

ثانيًا: ومن الأدلة القرآنية على نزول القرآن منجمًا ومقسطًا:

174- انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج 19، ص 4. ومحمد محمد أبو شهبه، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص 55، 56.

175- سورة الإسراء، الآية: 106.

176- سورة الإسراء، الآية: 105.

177- انظر: ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج 15، ص 231 بتصرف.

قوله تعالى: ژ□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ ى ې ې □ ۀ ہ ہ

ہ ۂ ۂ ۂ ژ[178].

ووجه دلالة هاتين الآيتين على نزول القرآن الكريم منجمًا:

1- أن الكفار من مشركي مكة واليهود لما عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم نزول القرآن مفرقًا واقترحوا عليه أن ينزل جملة فرد الله تعالى عليهم بهاتين الآيتين، وهذا الرد يدل على أمرين:

أحدهما: أن القرآن نزل مفرقًا ومنجمًا على النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: أن الكتب السماوية من قبله نزلت جملة. وهذا نشأ من معرفتهم بذلك وإلا كيف عرفوا أنه من الممكن أن ينزل القرآن جملة. ووجه الدلالة أن الله عز وجل لم يكذبهم في دعواهم التي اقترحوا وتحدوا الرسول صلى الله عليه وسلم بها، بل رد على اقتراحهم وتحديهم بكلام مستأنف مبينًا لهم الحكمة في نزوله مفرقًا. ولو كانت الكتب السماوية المتقدمة نزلت مفرقة لكان كافيًا في الرد عليهم أن يقول لهم إن التنجيم سنة الله في الكتب التي أنزلت على الرسل صلوات الله تعالى عليهم.

ثم إن الآيتين قد تضمنتا الحكمة في نزول القرآن مفرقاً وهي:

1- ژ□ □ □ ىژ أي: أنزلناه عليك مفرقاً لتقوي به قلبك.

2- ژې ېژ أي: ورسلناه ترسيلًا شيئًا بعد شيء.

3- ژۀ ہ ہ ہ ۂ ۂ ۂ ژ والمعنى: لا يسألونك عن شيء إلا جئناك بالأمر الحق وبما هو أحسن بيانًا وتفصيلًا[179].

ثالثًا: ومن الأدلة القرآنية على نزول القرآن منجمًا ومقسطًا:

قوله تعالى: ژى ى ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ ۀ ہ ہژ[180]. وهذا على رأي من قال: إن المراد بمواقع النجوم نجوم القرآن: "فقد أسند البيهقي في كتاب **الشُعَب** عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة

178- سورة الفرقان، الآيتان: 32، 33.

179- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 13، ص 28، وأبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م، ج 14، ص 529.

180- سورة الواقعة، الآيات: 75- 77.

واحدة ثم فرق في السنين، قال: وتلا الآية ﮋ ﯨ ﯩ ﮊ قال: نزل متفرقًا"[181].

قال أبو شامة المقدسي: "قلت: هو من قولهم: نجَّم عليه الدية، أي: قطعها ومنه نجوم الكتابة، فلما قطع الله سبحانه القرآن وأنزله مفرقًا قيل لتفاريقه نجوم ومواقعها مساقطها وهي أوقات نزولها". وقد قيل: إن المراد ﮋﯩ ﮊ مغارب نجوم السماء، والله أعلم.

وقوله في الرواية الأولى[182]: "وكان بمواقع النجوم، أي: بمنزلة ذلك في تفرقه وعدم تتابعه على وجه الاتصال وإنما هو على حسب الوقائع والنوازل وكذا مواقع النجوم بحساب أزمنة معلومة تمضي..."[183].

ثانيًا- الأدلة من السنة:

وقد تعددت الأحاديث والآثار الدالة على أن القرآن الكريم نزل منجمًا ومقسطًا نذكر منها:

1- الروايات المتقدمة المروية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

2- يضاف إليها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن أول ما نزل صدر سورة ﮋﭻﮊ إلى قوله: ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮊ"[184][185].

3- وفي **الصحيحين** عن جابر: "أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر إلى: ﮋﯓ ﯔﮊ"[186][187].

ثالثًا- الروايات المأثورة عن الصحابة والتابعين في أول ما نزل وآخر ما نزل والمكي والمدني:

181- أبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 17، 18.

182- مقصود بالرواية الأولى هي الرواية التي ذكرها قبل هذه الرواية وفيها: قال ابن عباس: "أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم".

183- أبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 17.

184- سورة العلق، الآيات: 1-5.

185- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، سورة العلق، رقم: 4955- 4956. ومسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص 160، رقم: 252.

186- سورة المدثر، الآيات: 1-5.

187- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، سورة المدثر، ص 627-628، رقم: 4922، 4925، 4926، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص 160، 161، رقم: 255، 256.

يقول ابن العربي في كتابه **الناسخ والمنسوخ**: "الذي علمناه على الجملة من القرآن في هذه الطريق أن منه مكيًّا ومدنيًّا وسفريًّا وحضريًا وليليًّا ونهاريًّا وسمائيًّا وأرضيًّا وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار"[188]. وجميع ذلك يقرر ويؤكد أن القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقًا ومنجمًا ومقسطًا. وقد أثر عن بعض الصحابة والتابعين آثار تدل على تنجيم القرآن، وهي روايتهم لأول ما نزل وآخر ما نزل وما نزل بمكة وغيرها من ذلك:

- **صحيح الطبراني** في الكبير بسنده عن أبي رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى يقرئنا فيجلسنا حلقًا وعليه ثوبان أبيضان، فإذا تلا هذه السورة: ژﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿژ قال: هذه أول سورة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم.
- ووردت آثار في هذا المعنى أيضًا في بعضها زيادة تعرفها من رواية الزهري وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذ أتى الملك بنمط من ديباج مكتوب فيه: ژﭻ ﭼ ﭽ ﭾ.... ک ک گـژ والنمط بفتح النون والميم هو الثياب والديباج هو الحرير.
- وأخرج أبوعبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال: "آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدَّين".
- ومما يدل على أن آية المائدة: ژﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊژ نزلت في حجة الوداع ما روي في **صحيح البخاري**: "أن يهوديًا جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال عمر: وأي آية تعني؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: ژﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊژ[189] فقال له عمر: والله إني لأعلم المكان الذي نزلت فيه، والساعة التي نزلت فيها، نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة في يوم الجمعة بعد العصر، أي أنها نزلت في يوم هو من أعظم الأعياد الإسلامية فهو عيد على عيد. وهذا ما يدعونا إلى معرفة حِكَم وأسرار نزول القرآن منجمًا ومقسطًا ومقطعًا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم على مدى ثلاث وعشرين سنة.

6- **حِكَم وأسرار نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجمًا ومقسطًا:**

188- انظر: القاضي أبو بكر بن العربي المعافري، **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، ج 2، ص 16. والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 27.

189- سورة المائدة، الآية: 3.

إن مضامين الآيات السابقة ومفاهيمها التي سقتها على تقرير كون القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجمًا ومقسطًا تحتوي على الحِكَم والأسرار لنزول القرآن على هذه الكيفية وإليك بيانها:

أولًا: تسهيل حفظه وتيسير فهمه وتقريب وعي القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الناس. لأن القرآن لو نزل جملة لعجزت القوة البشرية والطاقة البشرية عن حمله وحفظه. لأنه كلام الله عز وجل الذي يعلو على كل مقدرة البشر جميعًا فكان من الحكمة العليا أن ينزل مفرقًا قطعًا قطعًا حتى يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم حفظه وتحصيله ويتيسر للصحابة رضي الله عنهم وعيه وفهمه.

وهذا ما يستنبط من قوله تعالى: ﮋ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﮊ[190]. فقوله: ﮋ ﭓ ﮊ جعلناه فرقًا، أي: أنزلناه منجمًا مفرقًا.

وقد بين سبب نزوله مفرقًا وعلة ذلك بقوله: ﮋ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ أي: على مهل وتؤدة وبطء. لتكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس السامعين ﮋ ﭚ ﮊ لذلك.

فقد قال الله تعالى عن القرآن: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ[191]، ومع ذلك فإن الله تعالى من كرمه ورحمته وقدرته قد يسر حفظه وفهمه وتلاوته فقال تعالى: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ[192].

ثانيًا: تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتطمين نفسه الشريفة وتثبيت فؤاده حتى يستمر في أداء رسالة ربه سبحانه إلى الناس بثبات تام وعزيمة شجاعة وبصيرة مستنيرة.

وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﮊ[193] لما اعترض الكفار على نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفرقًا وقالوا: هلا أنزل عليه جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود[194].

فرد الله تعالى عليهم بقوله عز وجل ﮋ □ ﮊ أي: جعلنا ذلك وأنزلناه مفرقًا ﮋ □ □ ﯼ ﮊ أي: نقوي به قلبك فتعيه وتحمله لأنك أميّ لا تقرأ ولا تكتب "ففرقناه ليكون أوعى للنبي صلى الله عليه

190- سورة الإسراء، الآية: 106.

191- سورة المزمل، الآية: 5.

192- سورة القمر، الآية: 17.

193- سورة الفرقان، الآية: 32.

194- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 13، ص 28.

وسلم وأيسر على العامل به فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب"[195]. لذلك: ژﯾ ﯿژ أي: ورسلناه ترسيلًا شيئًا بعد شيء.

قال الغاشانيّ: "الترتيل هو أن يتخلل بين كل نجم وآخر مدة يمكن فيها ترسخه في قلبه وأن يصير ملكة لا حالًا"[196].

ثالثًا: الإجابة عن أسئلتهم والرد على ما يأتون به من صفة عجيبة من باطلهم وكذبهم وإبطال شبهاتهم وأوهامهم الزائفة وبيان الهداية المثلى والحِكمة السامية لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما يستنبط من قوله تعالى: ژٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پژ[197].

فزيادة على كون القرآن العظيم مثبتًا ومقويًا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم في تنزيله مفرقًا. فمن الحكمة أيضًا إجابته على كل مسألة يسألون عنها الرسول صلى الله عليه وسلم والرد على ما يأتون به من الشكوك والأكاذيب التي يلقون بها ليصدوا عن سبيل الله عز وجل ولمنع الناس عن الدخول في الإسلام.

قال النحاس: "وكان ذلك من علامات النبوة لأنهم لا يسألون عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبي، فكان ذلك تثبيتًا لفؤاده وأفئدتهم"[198]. فمن ذلك سؤالهم الرسول عن ذي القرنين ژ□ □ □ □□ □ □ □ □ □ژ[199].

فلم يأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم بشبهة من شبهاتهم إلا أوحى الله تعالى إليه من القرآن ما يبطل شبهتهم ويدفع قولهم، وبين الله عز وجل أن الذي يأتي به أحسن تفسيرًا، أي: أحسن من مثلهم تفصيلًا لأجل ما فيه من المزية في البيان والظهور[200].

رابعًا: معالجة الحوادث والقضايا والأحداث والنوازل المتجددة، فكلما جد أمر أو وقعت حادثة أو ظهرت قضية، لم يكن حكمها معروفاً تنزل الآية أو الآيات لبيان الحكم فيها.

195- المصدر السابق، ج 13، ص 28.

196- انظر: محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1969م، ج 12، ص 26.

197- سورة الفرقان، الآية: 33.

198- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 13، ص 29.

199- سورة الكهف، الآية: 83.

200- انظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج 24، ص 80.

فمن ذلك ما نزل من الآيات الكريمة في براءة السيدة عائشة رضي الله عنها فيما رماها به المنافقون من الإفك، وتعليم المسلمين ما ينبغي أن يفعلوه في مثل هذه المواقف في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ إلى قوله تعالى: ﮋ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ[201].

وكمثل قصة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فنزل فيها قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ إلى قوله تعالى: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ[202]. وغير ذلك من القضايا والحوادث التي نزل القرآن الكريم لمعالجتها وبيان الحكم فيها.

خامسًا: ومن حِكَم وأسرار نزول القرآن الكريم مفرقًا ومنجمًا: تأكيد وتقرير وإثبات كون القرآن الكريم معجزًا على أبلغ وجه وأقواه.

ووجه ذلك أن القرآن لو نزل جملة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقال الكفار هذا شيء جاءنا دفعة واحدة لا نستطيع أن نعارضه ولو جاءنا قطعًا قطعًا ونجمًا نجمًا لكان في قدرتنا معارضته والإتيان بمثله. فأراد الله تعالى أن يقطع عليهم دابر المعذرة ويبطل تعللاتهم فأنزله مفرقًا ومنجمًا.

يقول الإمام الفخر الرازي: "إن القرآن لما نزل منجمًا مفرقًا وهو عليه الصلاة والسلام كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى. فبهذا الطريق ثبت في فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة"[203].

وقد صرّح تعالى بأن الخلق كلهم عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن، قال تعالى: ﮋ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ[204].

بل وحكم بأنهم لن يستطيعوا معارضة سورة واحدة من القرآن، فقد حكم بعجزهم، فقال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ □ □ □ □ □ □ ﮊ[205].

سادسًا: ومن حِكَم وأسرار نزول القرآن مفرقًا ومنجمًا إقامة البرهان الساطع والحجة البالغة والدليل

201- الآيات من سورة النور، من 11-20.

202- الآيات من سورة المجادلة، من 1-4.

203- انظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، دار الفكر، بيروت، ط 1، ج 24، ص 79.

204- سورة الإسراء، الآية: 88.

205- سورة البقرة، الآيتان: 23- 24.

القاطع على إثبات كون القرآن الكريم كلام الله عز وجل.

وأنه ليس من كلام أحد من المخلوقين سواء كان من الملائكة أو من البشر. فهو ليس من كلام جبريل عليه السلام ، ولا من كلام محمد صلى الله عليه وسلم.

ووجه ذلك أن القرآن المجيد تقرأه من أوله إلى آخره فنجده محكم السرد دقيق السبك قوي الاتصال متين الأسلوب يأخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله يجري دم الإعجاز فيه جميعه من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة(206).

وكأنه حلقة مفرغة نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته وجاء آخره مساوقًا لأوله وبدا أوله مواتيًا لآخره خاليًا من أي تفكك أو تناقض كل ذلك حاصل ومحقق في القرآن الكريم مع أنه قد نزل متفرقًا مقسطًا منجمًا على حسب الحوادث والوقائع فيما يقرب من ثلاثة وعشرين عامًا.

وهذا يقرر ويثبت ويبرهن على أن القرآن الكريم كلام الله العزيز الحكيم: ژگ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱڱ ڱ ں ں ڻژ(207).

فإنه لو كان من كلام أحد من الخلق لما كان على الكمال من التآلف والترابط والإحكام. فكم من القصور والنقص والتناقض والضعف والتضارب الذي يلحق كلام المخلوقين. مهما بلغوا في البلاغة والفصاحة والبيان. فهذا يقرر ويؤكد أن القرآن العظيم من كلام الله عز وجل الخالق القوي المقتدر العليم الحكيم. وصدق الله تعالى القائل: ژڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژڑ ڑ ک ک کژ(208).

سابعًا: من حِكم وأسرار نزول القرآن مفرقًا ومنجمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإبقاء على منصب سفارة جبريل عليه السلام بين الله عز وجل وبين أنبيائه ورسله ليحمل إليهم ويبلغهم رسالة الله سبحانه وتعالى إلى خلقه.

يقول الإمام الفخر الرازي: "إن السفارة بين الله تعالى وبين أنبيائه تبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم، فيحتمل أن يقال: إنه تعالى لو أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلام، فلما أنزله مفرقًا منجمًا بقي ذلك المنصب العالي عليه فلأجل ذلك جعله

206- انظر: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الفكر، بيروت، ج 1، ص 60.

207- سورة فصلت، الآية: 42.

208- سورة الفرقان، الآية: 6.

الله سبحانه وتعالى مفرقًا منجمًا[209].

ثامنًا: من حِكم وأسرار نزول القرآن الكريم منجمًا ومفرقًا: تربية الناس وتعليمهم وتهذيبهم طورًا فطورًا ودرجة درجة. فكان من حكمة الله عز وجل ومن دقائق لطفه ورحمته بعباده أن تدرج في تربيتهم وتعليمهم وتهذيب نفوسهم وطبائعهم. فتدرج معهم في ترسيخ العقيدة وتدرج معهم في تثبيت الوعي الصحيح بالأحكام والآداب الإسلامية العالية وتأصيل الأخلاق الفاضلة. فقد أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى التوحيد الخالص وترك الشرك والإلحاد.

فلما استقر ذلك وثبت في نفوسهم وقلوبهم أمره سبحانه أن يدعوهم إلى بقية قواعد الإيمان وأصوله. ثم أتبع ذلك بدعوتهم إلى الأحكام والتشريعات والفضائل والآداب. ومن هنا كان للقرآن المكي خصائصه من حيث الأسلوب والموضوع وللقرآن المدني خصائصه من حيث الأسلوب والموضوع. والمتدبر في تشريع الفرائض من صلاة وزكاة وصيام وحج يرى أن الله عز وجل لم يفرضها مرة واحدة ، ولكنه سبحانه بحِكمته فرضها على فترات مختلفة وأزمنة متوالية. فالصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة ولا خلاف في ذلك[210]. والزكاة فرضت في السنة الثانية للهجرة[211]. والصيام فرض في السنة الثانية للهجرة[212].

والحج المختار لدى جمهور العلماء أن إيجابه كان سنة ست بعد الهجرة، لأنه نزل فيها قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ[213]. وهذا مبني على أن الإتمام يراد به ابتداء الفرض. ورجح ابن القيم أن افتراض الحج كان سنة تسع أو عشر[214].

وأمثل مثال للنهج التربوي في تدرج التشريع ما يظهر للمتأمل في الآيات النازلة في تحريم الخمر،

209- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج 24، ص 79.

210- خالد سيد علي، **الإسراء والمعراج ـ معجزة وحقائق ـ أسرار وفوائد**، مكتبة التراث والإيمان، الكويت، ط1، 1419هـ/ 1998م، ص 195. وموسى الأسود، **الإسراء والمعراج ـ المعجزة التي خرق الله بها نواميس الكون وسنن الحياة**، دار ابن حزم، بيروت، ط3، 1418هـ/ 1997م، ص 207.

211- السيد سابق، **فقه السنة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1407هـ/ 1987م، ج 1، ص 288. ويوسف القرضاوي، **فقه الزكاة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1401هـ/ 1981م، ص 72.

212- يوسف القرضاوي، **فقه الزكاة**، ص 72، والسيد سابق، **فقه السنة**، ج 1، ص 383.

213- سورة البقرة، الآية: 196.

214- السيد سابق، **فقه السنة**، ج 1، ص 549.

فقد تدرج القرآن الكريم في تحريمها على أطوار هي:

أولًا: نزل في شأنها قوله تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ژ[215]. وفي هذا لفت لأنظار الناس إلى ما في الخمر من السكر وتغيب العقل. وانظر إلى إشارة الآية إلى إناءة مرتبة الخمر عن الرزق الحسن حيث عطفت الرزق الحسن على السكر، والعطف يقتضي المغايرة فالسكر غير الرزق الحسن ، وهي إشارة إلى نبذ الخمر وتنفير النفس منها.

ثانيًا: لما بدأ الصحابة رضي الله تعالى عنهم يسألون عن الخمر وآثارها أجابهم الله عز وجل بقوله: ژ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ[216]. يقول الواحدي في سبب نزول هذه الآية: "نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية"[217]. فكانت هذه الآية سبباً في إقلاع كثير من الصحابة عن شرب الخمر وزاد وعيهم بما في الخمر من إثم ومضرة. ومع ذلك بقي البعض واستمر في تناولها حيث لم ينزل تحريم قطعي فيها. حتى حدثت حادثة أدت إلى نزول تحريم الخمر تحريمًا جزئيًا وهو الطور الثالث.

ثالثًا: روى الترمذي[218] عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال: "صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعامًا فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني قرأت "قل يأيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون"، قال: فأنزل الله تعالى: ژ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ژ"[219].

فضيقت الآية الكريمة عليهم وقت تناول الخمر فكانوا يتركون تناولها عند الصلوات وفي الأوقات القريبة منها حتى إذا صلوا العشاء شربوا وناموا فيصبحون وقد زال أثر السكر وظلوا على ذلك حتى نزل التحريم القطعي والكلي للخمر. يقول قتادة: "كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم

215- سورة النحل، الآية: 67.

216- سورة البقرة، الآية: 219.

217- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الرياض، ط2، 1404هـ/ 1984م، ص 64-65.

218- أخرجه الترمذي في **سننه**، كتاب تفسير القرآن من سورة النساء، ج 5، ص 238، رقم: 3026. قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

219- سورة النساء، الآية: 43.

نسخ بتحريم الخمر"[220].

رابعًا: التحريم الكلي للخمر. بالتحريم تهيأت نفوس الصحابة رضي الله تعالى عنهم بل تطلعهم إلى تحريمها قطعيًا كليًا. حيث أنزل الله تعالى قوله عز وجل: ژٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃژ[221].

روى الواحدي[222] بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرًا. وذلك قبل أن تحرم الخمر. قال: فأتيتهم في حَشٍّى ـ والحشُّ: البستان ـ فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وَزِقٌّ[223] من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم. قال فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم. فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأنزل الله عز وجل فيّ يعني نفسه شأن الخمر ژٻ پ پ پ پ ڀ ڀژ[224].

فكما أن الدواء الحسّي لابد فيه من التدرج في جرعاته حتى يتناسب مع جسد المريض، فلا تميله الأبدان ولا تمله ويكون ناجعًا، كذلك تكون الجرعات الروحية الإيمانية حتى لا تملها النفوس وتكون ناجعة حتى يربي تلك النفوس وترقى بها لا سيما إن كان ذلك في الجيل الأول لكونه سيتحمل عبأ الدعوة في المجتمع المشرك المكفهر بالظلم المنتقل من طبيعة حياة اعتادها إلى حياة جديدة مضيئة مليئة بالخير لكنه لم يعتدها فاحتيج إلى تأكيدها وترسيخها على علم بوقائع الأحوال وفلسفة وتنزيل الأحكام عند الأحداث والوقائع والأحوال المناسبة وأسباب النزول حتى يفهموا النصوص التي سيبلغونها للعالمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وهذا الأسلوب من التعليم فيه ترسيخ وتأكيد لهذه الأحكام في نفوسهم فعاش الأصحاب مع القرآن حياتهم وتعلموا أحكامه من خلال معايشتهم له ورؤيتهم للأحداث في غدوهم ورواحهم فحظوا بمنهج آيات القرآن التي نزل بشأنها التعليم بالمباشرة

220- انظر: **تفسير ابن كثير**، دار المعرفة، بيروت، ج 1، ص 512.

221- سورة المائدة، الآيتان: 90، 91.

222- الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، ص 6- 65.

223- الزِّق: كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه. وقال أبوحنيفة: الزق: هو الذي تنقل فيه الخمر والجمع أزقاق. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، جزء 12، ص 8، مادة "زقق".

224- سورة المائدة، الآية: 9، أخرجه مسلم في **صحيحه**، الكتب الستة، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، جزء 2، ص 1877، رقم: 43.

العملية وقالوا قديمًا:

فـــما راءٍ كـمستمـع   ولا أصيل لجين مثلُ ما يطلى

ثم نقلت كل هذه الفوائد والوقائع والأسباب والأحكام المستفادة والتي عاصروها وعاشها الجيل الأول إلى جيل ثان نشأ فيها وتربى في ظلها فما كان عليه إلا الاطلاع على ذلك والأخذ منه بدون حاجة إلى التدرج، لأن الجيل الأول كان في طور التأسيس والبناء، وبعد أن اكتمل هذا البناء عاش في ظله من بعدهم فما كان عليهم إلا أن ينظروا في الفلسفة والحكمة التي قام عليه هذا البناء، ويقومون على المحافظة عليه والعناية بجدرانه؛ لأنهم إذ نظروا فيه بجملته مكملًا متناسقًا كما تعلموا من جيل النور الأول وجدوه محكم العرى شاهق البناء فريد الموضع عالي المكانة وهكذا إلى يوم الدين إذ اتفق قد انتظم واكتمل الوحي: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ...ﮊ[225]. مبلغ رسوله الكريم.

وبهذا المنهج التربوي الحكيم الذي انتهجه القرآن الكريم ربّى الصحابة رضي الله عنهم وعلمهم العلم الصالح والخلق السديد المستقيم.

وهذا التدرج في تحريم الخمر أفصح عنه ما رواه الإمام أحمد[226] والترمذي[227] وأبوداود[228] والنسائي[229] عن عمر بن الخطاب أنه قال: "لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا. فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﮋﯛ ﯜ ﯝ □ □ □ □ □ □ □ □

225- سورة المائدة، الآية: 3.

226- أخرجه الإمام أحمد في **مسنده**، ج 1، ص 442-443، رقم: 378، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد. إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير خلف بن الوليد، وهو ثقة، وثقه ابن معين وأبوزرعة وأبوحاتم، وإسرائيل ـ وهو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ـ سماعه من جده في غاية الإتقان، وأبوميسرة ـ وهو عمرو بن شرحبيل الهمداني. سمع من عمر كما في **الجرح والتعديل**، ج 6، ص 237 عن أبي حاتم وقول أبي زرعة فيما نقله عنه ابن أبي حاتم في **المراسيل**، ص 516: حديثه عن عمر مرسل، لم يتابعه عليه أحد، فأبو ميسرة تابعي كبير مخضرم، ولم يعرف بتدليس قط. والحاكم، ج 4، ص 143 والبيهقي، ج 8، ص 285 من طرق عن إسرائيل بهذا الإسناد. وصحح الحاكم إسناده ووافقه الذهبي.

227- والترمذي في **سننه**، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، ج5، ص253-254، رقم: 3049 قال أبوعيسى: وقد روي عن إسرائيل هذا الحديث مرسل.

228- وأبوداود في **سننه**، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، ج 1، ص 514، رقم: 3670.

229- والنسائي في **سننه**، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ج 8، ص 286 -287.

□ □ □ژ[230]. قال: فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت الآية التي في سورة النساء: ژ ہ ہ ہ ہ ھژ[231] فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: لا يقربن الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا. فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ قول الله تعالى: ژڃ ڃ ڃژ[232]. قال عمر: انتهينا"[233].

فمن حكمة الله تعالى أن يكون شأن التشريع أن يلقى إلى الأمة تدريجًا كما في حديث عائشة في **صحيح البخاري** أنها قالت: "إنما أنزل أول ما أنزل منه (أي القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا نترك الخمر أبدًا، ولو نزل لاتزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا"[234].

فلهذه الحِكم والأسرار التي ذكرها العلماء واستفادوها من الآيات القرآنية التي نصت على كثير منها وما استقوه من واقع نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدء الوحي إليه صلى الله عليه وسلم في أول سنوات البعثة المباركة إلى قرب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

يقول المقدسي بعد ذكره لبعض وجوه وحِكم نزول القرآن منجمًا: "فهذه وجوه ومعان حسنة في حِكمة نزوله منجمًا وكان بين نزول أول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون. وهو مبني على الخلاف في مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة فقيل: عشر وقيل: ثلاث عشرة وقيل: خمس عشرة، ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر، والله أعلم"[235].

و- كيفية نزول الكتب السابقة:

لا يفوتني في هذا المقام أن أجيب على سؤال يمليه ما نحن بصدده من الكلام عن كيفية نزول القرآن الكريم وحكمته وهو: كيف نزلت الكتب السابقة؟

230- سورة البقرة، الآية: 219.

231- سورة النساء، الآية: 43.

232- سورة المائدة، الآيتان: 90، 91.

233- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 2، ص 95.

234- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج 6، ص 639، رقم: 4993.

235- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، ص 29 بتصرف.

وللإجابة على هذا السؤال أقول: عبر الله تعالى عن إنزال الكتب السابقة بالفعل المتعدي بالهمزة ﴿ﭼ﴾ مما يدل على نزولها جملة واحدة. ولما كان القرآن الكريم قد تحقق له تنزلات جملة إلى السماء الدنيا ومنها لنزوله مفرقًا ومنجمًا عبّر الله عن نزوله مرة منها ما كان "بأنزل" ومرة "بنزّل" وهذا ما يظهر من قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ﴾[236]. ينضم إلى ذلك قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □﴾[237].

ووجه دلالة هذه الآية على نزول الكتب السابقة جملة "أن الله سبحانه لم يكذبهم في دعواهم نزول الكتب السماوية جملة بل بين لهم الحكمة في نزوله مفرقًا ولو كانت الكتب السماوية نزلت مفرقة لكان كافيًا في الرد عليهم أن يقول لهم: إن التنجيم سنة الله في الكتب التي أنزلت على الرسل"[238]. ثم إن كثيرًا من الآيات القرآنية تدل على أن التوراة نزلت جملة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام. منها قوله تعالى: ﴿ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ﴾[239].

المبحث الرابع: الهدف الأسمى والغاية العظمى من إنزال الله تعالى القرآن الكريم للبشر عامة وللمسلمين بصفة خاصة وذلك في ضوء الآيات القرآنية:

القرآن هو كلمة الله الأخيرة المنزلة على آخر الرسل وخاتمهم المبلغ عن الله المرسل لكافة الناس بشيرًا ونذيرًا ليحيى من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، فالقرآن هو مصدر الهداية ومنهج حياة ونظام خالق حكيم لمخلوق ضعيف، قال تعالى: ﴿ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾[240]. فهو مصدر لهداية كل الناس، والهداية نوعان: هداية دلالة على الحق. وهداية معونة لمن دخل في الحق، قال تعالى: ﴿ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ﴾[241]. أي: دللناهم على الهدى فلم يهتدوا.

وهداية المعونة: ﴿□ □ □ □ □ □﴾[242]. لذلك نجد آيات القرآن تتحدث عن هدايته للناس جميعًا وعن هدايته للمؤمنين خاصة والمتقين، قال تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ

236- سورة آل عمران، الآيتان: 3، 4 .

237- سورة الفرقان، الآية: 32.

238- محمد أبوشهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص57.

239- سورة الأعراف، الآية: 154.

240- سورة البقرة، الآية: 185.

241- سورة فصلت، الآية: 17.

242- سورة محمد، الآية: 17.

ﭙﮊ(243) أي: هداية خاصة بالمتقين المؤهلين لتلقي هذا الهدى وذلك النور، ويقول: ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮊ(244). ويقول تعالى: ﮋﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﮊ(245). وقال تعالى: ﮋﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﮊ(246).

هذه الآيات تخص المؤمنين المتقين الذين سلكوا مسلك هداية الدلالة، وتجد آيات أخرى تتحدث عن هداية الناس جميعًا قال تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﮊ(247) وتتحدث عن صنفي الهداية معًا ﮋﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮊ(248). وقال: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮊ(249).

فالقرآن موعظة بليغة من خالق أكبر أدرى بما يصلح صنعته وما يضرها وما ينفعها، وهو شفاء من أمراض القلوب لتحيي في النفوس قيم الخير وتنزع منها ربقة الجحود والشر، وهدى بكل ما تعنيه كلمة هدى، فالهدى هو الصواب من كل وجه وفي كل شأن، والرحمة معنى يحمل بين طياته كل معاني السعادة والخير، والقرآن بحق كتاب الهداية الخالد الباقي بقاء الدهر معجزٌ في تشريعه بليغ في حكمه ساحر في بيانه ونظمه أعجز البشر قديمًا وحديثًا، ماتت مذاهب ومناهج وهو باق لم يتغير ولم يتبدل بل هو لا يزال غضًا طريًا تكفل الله بحفظه: ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮊ(250).

أنزله الله لأمة أمية لا تعرف الرقيّ والتقدم ولا العلم ولا أي شيء من مظاهر الحضارة فإذا هي به الأولى تقود العالم في أيام ظلامه وتخترق كل مصاقع الأرض ناشرة ألويته البيضاء التي تحمل للبشرية العدل والصدق والرحمة والمساواة في أقل من ثمانين عامًا، وأسست به دولة الإسلام أيام كانوا متمسكين به مطبقين لأحكامه.

243- سورة البقرة، الآية: 2.

244- سورة المائدة، الآية: 15-16.

245- سورة الإسراء، الآية: 9.

246- سورة الإسراء، الآية: 82.

247- سورة الإسراء، الآية: 106.

248- سورة البقرة، الآية: 185.

249- سورة يونس، الآية: 57.

250- سورة الحجر، الآية: 9.

وقوله تعالى: ژﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫژ[251].

والمراد بالألواح: الألواح التي كتبت فيها التوراة[252]. وفي كل ذلك دليل قوي على أن التوراة نزلت جملة.

يضاف إلى هذه الأدلة القرآنية ما ورد من آثار صحيحة منها:

- ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال:قالت اليهود: "يا أبا القاسم، لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى فنزلت"[253] أي: نزل قوله تعالى: ژ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ى ﯤ ﯥ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗژ[254].
- وما أخرجه ابن أبي حاتم أيضًا عن ثابت بن الحجاج، قال: "جاءتهم التوراة جملة واحدة فكبر عليهم فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذه عند ذلك"[255].

"فهذه آثار صحيحة صريحة في إنزال التوراة جملة"[256]، "وإذا كانت التوراة وهي أعظم الكتب السماوية السابقة وأكثرها أحكامًا وهداية. وقد ثبت نزولها جملة واحدة. فأولى بغيرها من الكتب السماوية كالإنجيل والزبور وصحف إبراهيم أن تكون قد نزلت جملة واحدة. وآية الفرقان تدل على هذا التعميم وتؤيده"[257].

ثم يؤكد ذلك ما قاله العلماء المحققون وذهبوا إليه. يقول السيوطي: "ما تقدم في كلام هؤلاء من أن سائر الكتب أنزلت جملة هو المشهور في كلام العلماء على ألسنتهم حتى كاد أن يكون إجماعًا[258].

الحكمة في نزول الكتب السابقة جملة:

قال ابن فورك: قيل أنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى. وأنزل الله

251- سورة الأعراف، الآيتان: 144، 145.

252- صديق بن حسن القنوجي البخاري، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج 5، ص 14.

253- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 121.

254- سورة الفرقان، الآيتان: 32، 33.

255- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 123.

256- المرجع السابق.

257- محمد محمد أبو شهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص 58.

258- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 121.

القرآن مفرقًا لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي[259]. وإنما أنزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرأها موسى[260].

ويمكننا أن نقول: إن الكتب السابقة نزلت جملة لأنها نزلت لهداية أمة خاصة في زمن خاص لمعالجة قضايا وحوادث واقعة، بخلاف القرآن الكريم الحامل للرسالة العامة لكل الناس في جميع العصور والأماكن والأزمان إلى يوم القيامة. فقد تضمن معالجة قضايا عامة وحوادث واقعة أو قد تقع في مرور الأيام. ووكل التبليغ من بعد نبيه لأمته خصوصًا الرعيل الأول الذي احتاج إلى أن يكون مؤسسًا على تربية علمية عملية مباشرة مع الأحداث ، نظرًا لأميتهم حتى يدعوا إلى الله على بصيرة وتبلغ الدعوة للعالمين.

كما يمكننا أن نقول: إن الكتب السابقة نزلت جملة لأن الرسل الذين أنزلت عليهم لم يكلفوا بحفظها في الصدور بخلاف القرآن الكريم الذي كلفنا الله تعالى بحفظه في صدورنا . وأن نقرأه ليل نهار في صلاتنا.

الخاتمة:

وبعد مسيرة هذا البحث الذي وضحت معالمه وتجلت جوانبه وظهرت مضامينه ودنت ثماره وفوائده رأيت أن أذكر خلاصته التي تبرز نتائجه وتبلور محاوره وذلك بالأمور التالية:

أولاً: إن القرآن الكريم قد عبر بأسلوبه الحكيم المعجز عن كيفية تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم لكلام الله عز وجل بألفاظ ثلاثة: التلقي والوحي والتنزيل وجميعها تفيد قوة وصول القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم وثبوته في قلبه ونفسه صلى الله عليه وسلم. وهذا ما يبطل الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام.

ثانيًا: إن القرآن الكريم قد حصل له كل معاني الإنزال والنزول وتحقق له وجودات متعددة وهذا ما يؤكد ويقرر صدق نزول القرآن الكريم من عند الله عز وجل ويوثق دقة النص القرآني وحقيقة كونه كلام الله عز وجل.

ثالثًا: إن وحي الله عز وجل القرآن الكريم قد أعلم الله تعالى به ملائكته قبل أن ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم إعلامًا للملائكة بشرف الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف أمته وتسجيلًا لكون القرآن أعظم الكتب الإلهية المنزلة على أشرف الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ببيان مكانة أمته وشرف منزلتها بين الأمم.

259- المرجع السابق، ج 1، ص 121.

260- **تفسير الفخر الرازي**، ج 24، ص 79.

رابعًا: إن من رحمة الله تعالى ولطفه الكامل برسوله محمد صلى الله عيه وسلم وأمته أن أنزل عليه القرآن الكريم منجمًا ومقسطًا تيسيرًا لحفظه، وتطمينًا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، وتأنيًا له في أداء رسالته، وإمداده بالإجابات الشافية الكافية لكل الأسئلة والقضايا التي يحتاجها الناس عامة، والصحابة رضي الله تعالى عنهم خاصة.

خامسًا: إن في نزول القرآن الكريم منجمًا ومقسطًا تربية قويمة في تدرج تشريع العبادات والمعاملات ونزع العادات الضارة الفاسدة، وغرس القيم الأصيلة النافعة، وفيه دليل على إعجازه حيث نسقه بعد تنجيمه بما يتلاءم مع بعضه بما يفوق قدرة البشر. والله هو الموفق

Gradual Revelation of The Qur'ān (analytical study)

This study speaks about the stages of revealing the Qur'ān. It explains the relevant terms and expressions employed by the Qur'ān to indicate its gradual coming down from Absolute Knowledge of Allāh through the Arachangel Jibrīl to the Prophet (pbuh) and finally to the Posterity. It examines the relevant verses, reports and traditions that through light on this gradual unfolding of the Revelational Phenomena.

****